

من روائع حجّة الإسلام أبو حامد الغزالى

# بدأية المدائنة

أَكْثَرُ الْمُسَلِّمِينَ إِلَيْهَا وَاللَّهُ أَعْلَمُ  
أَكْثَرُ الْمُسَلِّمِينَ إِلَيْهَا وَاللَّهُ أَعْلَمُ

لأبي حامد الغزالى

دراسة وتحقيق

محمد سليمان الششتى

كتاب الفتن

طبع ونشر ووزع

٣ شارع القماش بالقاهرة - بولاق

الفترة - ت : ٧٦١٩٦٢

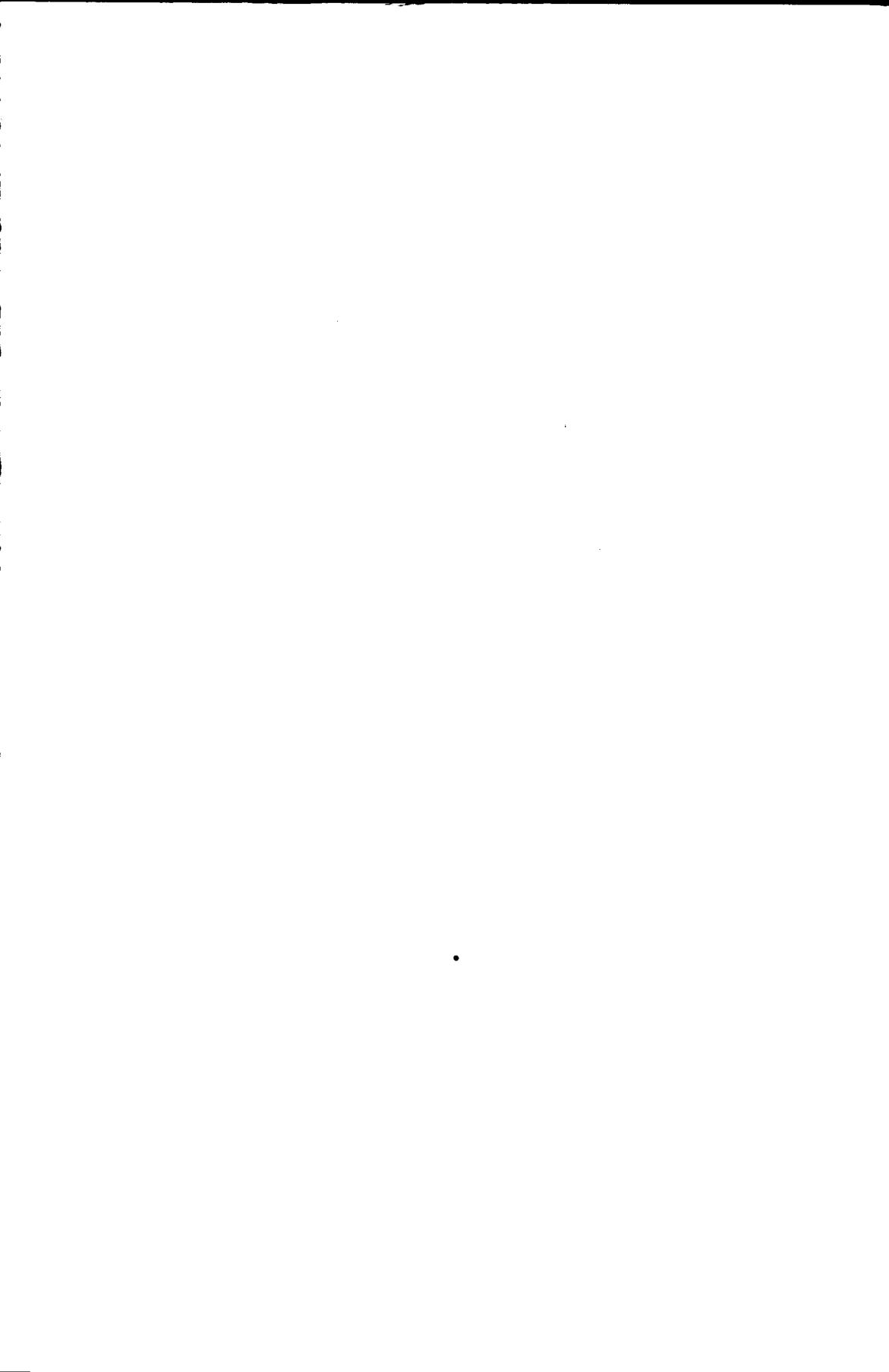
حقوق الطبع محفوظة للناشر





## دراسة التحقيق

- \* المؤلف : حجة الإسلام الغزالى .
- \* الكتاب : بداية الهدایة .
- نسبة الكتاب إلى الإمام الغزالى .
- تاريخ تأليفه .
- مضمون الكتاب .
- أسلوب الغزالى في «بداية الهدایة» .
- مخطوطات الكتاب .
- اختصارات والشروح .
- الطبع .
- الترجمات إلى اللغات الأخرى .
- منهج التحقيق .



# ١ - المؤلف

## حجۃ الاسلام الغزالی

( ٤٥٠ - ٥٠٥ = ١٠٥٨ - ١١١١ م )

معالم حياته :

- \* هو محمد بن محمد بن الغزالی الطوسي ، أبو حامد ، حجة الإسلام .
- \* ولد في طوس - المدينة العامرة آنذاك بالعلم والعلماء . ونشأ في أسرة متعددة الحال ، متمسكة بالإسلام<sup>(١)</sup> .
- \*قرأ شيئاً من الفقه في طوس على أحمد بن محمد الراذكاني . وسافر إلى جرجان إلى الإمام أبي نصر الإسماعيلي ، وعلق عنه «التعليق» في الفقه . ورجع إلى طوس<sup>(٢)</sup> .
- \* قدم نيسابور في صحبة مجموعة من طلبة العلم من مدينة طوس ، ولازم إمام الحرمين . وبعد وفاته خرج الغزالی إلى المعسكر قاصداً الوزير نظام الملك ، فناظر الأئمة وقهرهم ، ولقى التعظيم من نظام الملك . والمعسكر كان ميداناً فسيحاً بجوار نيسابور أقام فيه نظام الملك معسكراً<sup>(٣)</sup> .

(١) طبقات السبكي ٤ : ١٠٢ ، والعبرة ٥ : ٢٠٣ ، وإتحاف السادة ١ : ٧ . وحياة الغزالی للدكتور (زومير) ص ٤٤ .

(٢) أبو حامد الغزالی ، للأستاذ محمد رضا ، ص ٦ . واندكتور زومير ص ٥٩ ، وطبقات السبكي ٤ : ١٠٣ .

(٣) إتحاف السادة ١ : ٧ ، والسبكي ٤ : ١٠٣ ، ومؤلفات الغزالی للدكتور بدوى عبد الرحمن ص ٢٢ .

\* توجه للتدريس بالمدرسة النظامية ببغداد بتكليف من نظام الملك (٤٨٤ هـ جمادى الأول) <sup>(٤)</sup>

\* بدخول شهر رجب عام (٤٨٨ هـ) بدأت أزمته الروحية التي استمرت ستة أشهر أى حتى أوائل عام (٤٨٩ هـ). وفي شهر ذى القعدة سنة (٤٨٨ هـ) ترك التدريس في المدرسة النظامية ، وسلك طريق الزهد والانقطاع . وفي ذى الحجة خرج من بغداد مظهراً العزم على الخروج إلى مكة ، وهو يدبر في نفسه السفر إلى الشام . وقد استتاب أخاه أحمد في التدريس بنظامية بغداد <sup>(٥)</sup>.

\* ودخل دمشق في بداية سنة (٤٨٩ هـ) ، فلبث فيها مدة في مسجد دمشق معتكفاً في منارة الغربية مغلقاً بابها على نفسه . ثم ذهب إلى بيت المقدس يدخل كل يوم الصخرة مغلقاً بابها على نفسه . ثم توجه إلى الخليل لزيارة مقام إبراهيم عليه السلام .

\* وفي أواخر سنة (٤٨٩ هـ) رجع إلى دمشق ، واعتكف بالمنارة الغربية من الجامع الأموي ، فكان يصعد المنارة الغربية طول النهار ويغلق بابها على نفسه ، وظل في دمشق حتى ذى القعدة عام (٤٩٠ هـ) <sup>(٦)</sup>.

\* ثم ذهب لأداء فريضة الحج وزيارة رسول الله ﷺ <sup>(٧)</sup>.

\* وفي الشهور الخمسة من عام (٤٩٠ هـ) مرّ ببغداد في طريقه إلى خراسان ، ولكنه لم يقم طويلاً في بغداد ، ولم يستأنف التدريس بالنظامية .

(٤) السكري ٤ : ١٠٣ - ١٠٤ ، والغزالى للدكتور رفاعى ص ١٠٧ ، وتاريخ ابن خالدون ٦ : ١٨٦ ، ومؤلفات الغزالى ص ٢٢ .

(٥) المقذى من الصلال ، ص ١٢٧ ، طبعة دمشق عام ١٩٣٤ م . والسيكى ٤ : ١٠٤ ، ومؤلفات الغزالى ص ٢٢ - ٢٣ .

(٦) المقذى ، ص ١٣٠ ، وإنتحاف السادة المتقين ١ : ٧ ، ومؤلفات الغزالى ص ٢٣ ، والغزالى للدكتور رفاعى ١ : ١٢٠ ، والسيكى ٤ : ١٠٤ .

(٧) المقذى ، ص ١٣٠ . ومؤلفات الغزالى ، ص ٢٤ .

\* ومضى إلى خراسان ودرس مدة بطوس ، ثم ترك التدريس والمناظرة واشتغل بالعبادة ، وأثر العزلة وتصفية القلب بالذكر ، لكن حوادث الزمان ومهام العيال وضرورات المعاش كانت تغير فيه وجه المراد وتشوش صفة الخلوة ، ودام على هذه الحال قرابة تسع سنين<sup>(٨)</sup>.

\* في شهر ربيع الآخر سنة (٤٩٨ هـ) عين سنجر - فخر الملك على ابن نظام وزيراً له في خراسان ، فألح على الغزالى في معاودة التدريس ، فلم يجد بدأ من الإذعان ، وعاد إلى التدريس في نظامية نيسابور ، لا في نظامية بغداد ، إذ كان فخر الملك وزيراً في نيسابور لسنجر حاكم خراسان من قبل أخيه محمد بن ملكشاه<sup>(٩)</sup>.

\* ثم عاد إلى بيته ، واتخذ في جواره مدرسة للطلبة وخانقاه للصوفية ، وزع أوقاته على وظائف الحاضرين : من ختم القرآن ، ومجالسة ذوى القلوب ، والقعود للتدرис ، بحيث لا تخلو لحظة من لحظاته ، ولحظات من معه عن فائدة<sup>(١٠)</sup>.

\* بعد عمر دام خمساً وخمسين سنة ، كان شاغله فيه العلم والعمل ، والتصنيف ، والدعوة إلى سبيل الله سبحانه وتعالى - توف الإمام الغزالى ، وذلك في يوم الاثنين الرابع عشر من شهر جمادى الآخرة سنة (٥٥٥ هـ) الموافق ١٨ ديسمبر سنة (١١١١ م) . وكان وفاته بطوس ، ودفن بظاهر قصبة الطايران<sup>(١١)</sup>.

(٨) السكى ٤ : ١١١ ، المقدص ١٣٠ ، مؤلفات الغزالى ص ٢٤ .

(٩) طبقات السكى ٤ : ١٠٨ .

(١٠) مرآة الزمان ٨ : ٤١ ، والبداية والنهاية ١٢ : ١٧٣ ، والسكى ٤ : ١٠٩ .

(١١) إنجاف السادة المتفقين ١ : ١١ ، والأعلام ٧ : ٢٢ ، ووفيات الأعيان ١ : ٤٦٣ ، وشذرات الذهب ٤ : ١٠ . والواقي بالوفيات ١ : ٢٧٧ ، ومنتاح السعادة ٢ : ١٩١ - ٢١٠ ، وتبين كذب المفترى ٢٩١ - ٣٠٦ .



## ٢ - الكتاب

\* نسبة الكتاب إلى حجة الإسلام الغزالى :

لا يدور أدنى شك حول نسبة كتاب «بداية الهدایة» إلى الإمام الغزالى ، وقد أنسنده المصادر التالية إليه :

GAL رقم ٢٦ ; السبكي ٤: ١١٦؛ ابن العماد ٤: ١٣؛ الطبقات العلية رقم ٩؛ المرتضى برقم ١١ وقال فيه : « وهو مختصر في الموعظة ، ذكر فيه مالا بد منه للعامة من المكلفين : من العادات والعبادات » ومؤلفات الغزالى برقم ٣٥ .

وقد تأكّد وتوثق لدى أن الكتاب للإمام الغزالى بما ورد في الكم الهائل من المخطوطات الموجودة لهذا الكتاب في مكتبات العالم ، من إجماع على نسبة الكتاب لحجة الإسلام الغزالى . ذلك بالإضافة إلى النصوص التي وردت في كتبه الأخرى مؤكدة نسبته إليه .

\* تاريخ تأليفه :

ما لا يُرَيْبُ فيه أن كتاب «بداية الهدایة» من كتبه التي ألفها في مرحلة متأخرة من حياته ، بعد اهتدائه إلى نظرية الكشف ، ووصوله إلى مرحلة الازدهار الفكري ، والصفاء الروحي والوجوداني .

وإذا أردنا تاريخاً محدداً لتأليف كتاب «بداية الهدایة» ؛ فقد قسم الأستاذ «بويع» في كتابه «بحث في الترتيب التاريخي لممؤلفات الغزالى» - حياة الغزالى إلى خمس فترات ، ويرى أن كتاب «بداية الهدایة» قد ألف في الفترة الثالثة : فترة الخلوة والانقطاع (سنة ٤٨٨ - ٤٩٩ هـ) . ومن

مؤلفاته في هذه الفترة : «إحياء علوم الدين» ، و «المقصد الأسمى» و «الوجيز» ، و «أيتها الولد» ..

#### \* مضمون الكتاب :

تناول الإمام الغزالى في هذا الكتاب ثلاثة موضوعات :

- ١- الطاعات .
- ٢- المعاصي .
- ٣- آداب الصحبة .

#### \* أسلوب الغزالى في «بداية الهداية» :

أسلوب حجة الإسلام في هذا الكتاب ، يتميز بالوضوح ، وسهولة المثال ، والدقة في التعبير . ومتوسطو الثقافة يستطيعون أن يفهموه بغير عناء .

هذا فضلاً عن الجهد التنظيمي الذي بذله في تنظيم هذا الكتاب ، وترتيبه ترتيباً علمياً منطقياً - كما هو دأبه ودينه في سائر كتبه - وهذا أمر واضح جلى لا يحتاج إلى الاستدلال عليه ؛ لأن كل كتبه شاهد قوى على ذلك ، يقول الأستاذ مونتجمرى : «إن الغزالى - كما قال آسین - يرتب كتبه على نحو منطقي منظم» .

#### \* مخطوطات الكتاب :

يوجد لكتاب «بداية الهداية» في مكتبات العالم ما لا يقل عن ٥٠ مخطوطة ، نذكر منها :

(١) دار الكتب المصرية تصوف طلعت رقم ٧٤٢ ، ١٠١٨ ، ١٣٣٦ ، ١٤٦٠ .

(٢) الظاهرية عام ٥٧٤٨ ، ٨٠٢١ ، ٦١٧٨ .

- (٣) الأزهر برقم (١٢٠٣) زكي ٤١٣٠٤ ، في ٩ ورقة ، مسطرتها ٢٣ سطراً .
- (٤) برلين ٣٢٦٣ / ٤ .
- (٥) جوتا ٨٨٢ .
- (٦) منشن ٦١٤ .
- (٧) باريس ١٢٩٣ (١) وبرقم ٦١٠٨ من ١٣٢ إلى ١٧١ .
- (٨) المتحف البريطاني ٧٣٩ ، ١٢٦ (٢) .
- (٩) بودل ١ : ٥٦٩ .
- (١٠) الجزائر ٧/٨٧٦ .
- (١١) الديوان الهندي ١٢٢٥ .

#### \* اختصارات والشروح :

- (١) «الكفاية» لعبد القادر بن أحمد الفقيه (المتوفى سنة ٩٨٢ / سنة ١٥٣٤) ومنه مخطوط في بنكبور ١٣ : ٨٥٠ ، رامفور ١ : ٣٦٢ [ ٢٨٠ ] — وطبع في القاهرة سنة ١٢٩٦ هـ .
- (٢) تلخيص له محمد النووى البغوى ، طبع بالقاهرة سنة ١٣٠٦ .
- (٣) «مرافق العبودية» لمحمد النووى الجاوى المکى ، طبع القاهرة عدة طبعات آخرها ١٣٤٥ .
- (٤) تلخيص مجهول المؤلف ، المتحف البريطاني الملحق ١٢٧ .
- (٥) «مختصر بداية المداية» ، مجهول المؤلف ، في متحف جمعية بنافيا ، فهرس فان رونكل برقم ١٢٧ في ٦٣ ورقة مسطرتها ٩ أسطر ، مكتوب على ورق جاوى .

### \* الطبع :

بولاق (حروف) ١٢٨٧ ، (حروف) ١٢٩١ ؛ القاهرة ١٢٧٧ ، (في مجموعة حروف) سنة ١٣٠٣ ؛ القاهرة ١٣٥٣ هـ ؛  
ولاحظت على هذه الطبعات أنها تناسب كلماتها بعضها وراء بعض ، دون رعاية للفواصل وعلامات الترقيم ؛ مما يجعل معانى العبارات والجمل تداخل بعضها في بعض ؛ فلا يستطيع القارئ أن يتبع قراءتها على هذا الحال وهو لا يدرى أين يتدىء ولا أين ينتهى .  
وبمقابلة عدة نسخ بعضها بعض — وجدتها حافلة بكثير من الأخطاء والتحريفات والتصحيفات وما إلى ذلك .

### \* الترجمة إلى اللغات الأخرى :

#### ( ١ ) إلى الانجليزية في كتاب :

Montgomery watt: The faith and practice of al - Gattali.  
London . Allen & Unwin, 1953.

تقع الترجمة من ص ٨٦ إلى ١٥٢ ، وقد اعتمد في الترجمة على نص طبعة القاهرة ١٣٥٣ هـ/سنة ١٩٣٤ ، ثم وقف عند بداية ص ٤ قائلاً إن الاحتمال أن يكون باقى الكتاب منحولاً !

#### ( ٢ ) إلى الألمانية :

J. Hell : Die Religion des islam, Vol 1, Jena 1915 ( 2 . Aufl  
1923 ). ( Religiöse Stimme den Vol Ker )

### \* منهج التحقيق :

١- اعتمدت على عدة نسخ في تحقيق هذا الكتاب . وكان رائى في ذلك هو اختيار النص الصحيح والأفضل من بين هذه النسخ .

ولم أشأ تسجيل القراءات المخالفة في الهاشم ، ثم أترك القارئ يختار ؛ حيث إن هذا العمل سوف يسبب إرهاقاً للقارئ ، وسوف يجعله يجد صعوبة ومشقة في الانتقال بعينه وعقله بين المتن والهاشم ، مما سيؤثر على متابعته لسياق الكلام . فضلاً عن أن هذا العمل ليس فيه سوى إثبات للنسخ المختلفة في موضع واحد على افتراض أن القارئ سيقارن بينها ويختار أصحها . ولكن ما فائدة الحق والشخص إذا لم يوفر على القارئ مثل هذا الجهد والعناية ، ويسهل له الانتفاع بالكتاب ؟! وذلك كله بهدف أن يتذمّر القارئ من حيث انتهى الحق ، بدل أن يبدأ من حيث بدأ ؛ فلا ينتفع ببعضنا بجهود بعض .

- ٢- قمت برفع الأخطاء الموجودة في الأصول ، وخلصتها من شوائب التصحيف والتحريف ؛ وكتبت الكتاب وفقاً لقواعد الإملاء المعاصرة ، ونسقته ، ورتبتها ، وقسمتها إلى جمل وفقرات ؛ حتى يعرف القارئ أين يتذمّر ، وأين ينتهي .
- ٣- خرجت الآيات القرآنية مع تشكيلها .
- ٤- خرجت الأحاديث النبوية تخريجاً علمياً .
- ٥- شرحت الألفاظ الغريبة ، والمصطلحات ، التي يحتويها الكتاب . كما علقت على بعض الموضع التي اقتضت التعليق .
- ٦- قدمت للمكتاب بدراسة عن الإمام الغزالى وكتابه « بداية الهدایة » الذى بين أيدينا الآن .

والله أَسْأَلُ أَنْ يَتَقْبِلَ عَمَلِي هَذَا بِقَبْوُلِ حَسْنَ ابْتِغَاءِ لِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ ،  
إِنَّهُ سَمِيعُ الدُّعَاءِ .

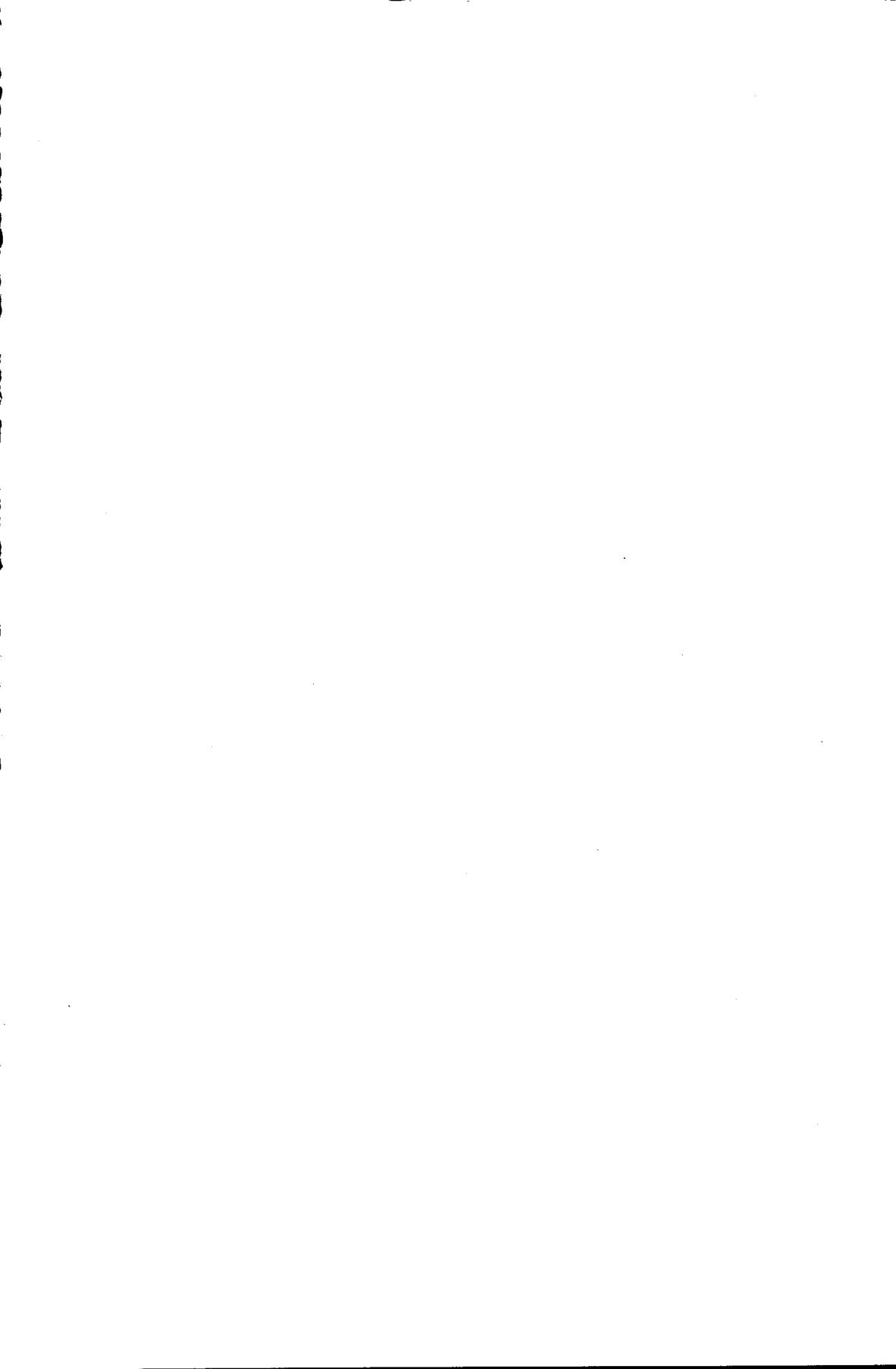
وَآخِرُ دُعَوَانَا أَنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ..

محمد عثمان الخشت

الأهرام في : ٩ رجب ١٤٠٥ هـ  
٣٠ مارس ١٩٨٥ م

\* \* \*

# **كتاب «بداية الهدایة»**



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الشيخ الإمام ، العالم العلامة ، حجة الإسلام ، وبركة الأنام :  
أبو حامد محمد بن محمد بن الغزالى الطوسي ؛ قدس الله روحه ، ونور  
ضريمه - أمين :

الحمد لله حق حمده ، والصلوة والسلام على خير خلقه ، محمد  
رسوله وعبده ، وعلى آله وصحبه من بعده .

أما بعد :

فاعلم أيها الحريص المقبل على اقتساس العلم <sup>(١٢)</sup> ، المظهر من نفسه  
صدق الرغبة ، وفرط التعطش إليه .. أනك إن كنت تقصد بالعلم  
المنافسة ، والمباهاة ، والتقدم على الأقران ، واستئثار وجوه الناس  
إليك ، وجمع حطام الدنيا ؟ فأنت ساع في هدم دينك ، وإهلاك  
نفسك ، وبيع آخرتك بدنياك ؛ فصفقتك خاسرة ، وتجارتكم بايرة ،  
ومعلمكم معين لك على عصيانك ، وشريك لك في خسرانك ، وهو  
كباقي سيف لقاطع طريق ، كما قال عليه <sup>صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ</sup> : « من أuan على معصية ولو  
بشرط كلمة كان شريكا فيها » <sup>(١٣)</sup> .

وإن كانت نيتك وقصدك ، بينك وبين الله تعالى ، من طلب  
العلم : الهدایة دون مجرد الروایة ؛ فأبشر ؛ فإن الملائكة تبسيط لك  
أجنحتها إذا مشيت ، وحيتان البحر تستغفر لك إذا سعيت .

(١٢) في نسخة : اقتاص العلم .

(١٣) انظر : جمع الجرامع ، المجلد الأول ، ص ٧٤٩ - طعة الهيئة العامة للكتاب .

ولكن ينبعى لك أن تعلم ، قبل كل شيء ، أن الهدایة التی هی ثمرة العلم لها بداية ونهاية ، وظاهر وباطن ، ولا وصول إلى نهايتها إلا بعد إحكام بدايتها ، ولا عثور على باطنها إلا بعد الوقوف على ظاهرها .

وهأنما مشير عليك ببداية الهدایة ؛ لتجرب بها نفسك ، وتمتحن بها قلبك . فإن صادفت قلبك إليها مائلاً ، ونفسك بها مطاوعة ، وها قابلة ؛ فدونك التطلع إلى النهايات والتغلغل في بحار العلوم .

وإن صادفت قلبك عند مواجهتك إياها بها مسوفا ، وبالعمل بمقتضاهما ماطلاً ؛ فاعلم أن نفسك المائلة إلى طلب العلم هي النفس الأمارة بالسوء ، وقد انتهضت مطيعة للشيطان اللعين ليديلك بحبل غروره ؛ فيستدر جك بمكيدته إلى غمرة الهملاك ، وقصده أن يروج عليك الشر في معرض الخير حتى يلحقك **﴿بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا،**  
**الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيهِمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يَحْسِنُونَ صَنْعًا﴾**<sup>(١٤)</sup> . وعند ذلك يتلو عليك الشيطان فضل العلم ودرجة العلماء ، وما ورد فيه من الأخبار والآثار . ويلهيك عن قوله ﷺ : «من ازداد علما لم يزدد هدى ، لم يزدد من الله إلا بعده»<sup>(١٥)</sup> ، وعن قوله ﷺ : «أشد الناس عذابا يوم القيمة عالم لم ينفعه الله بعلمه»<sup>(١٦)</sup> ، وكان ﷺ يقول : «اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع ، وقلب لا يتشفع ، وعمل لا يرفع ، ودعاء لا يسمع»<sup>(١٧)</sup> ،

(١٤) الكهف : ١٠٣ - ١٠٤

(١٥) رواه أبو مقصور البليسي في مسنن الفردوس ، من حديث علي ، بإسناد ضعيف ، إلا أنه قال : «زهدا». وروى ابن حسان في روضة العلاء موقفاً على الحسن : «من ازداد علماً بالله ، ثم ازداد على الدنيا حرصاً ، لم يزدد من الله إلا بعده». وروى أبو الفتح الأزدي في الصعفاء من حديث علي : «من ازداد بالله علماً ، ثم ازداد للدنيا حباً ، ازداد الله عليه غصّاً».

(١٦) رواه أبو داود الطيلسي . وسعيد بن مقصور . وإن عد في الكامل ، والبيهقي في شعب الإيمان : عن أبي هريرة .

(١٧) رواه الحاكم ، من حديث ابن مسعود .

و عن قوله ﷺ : « مرت ليلة أسرى بي بأقوام تفرض شفاههم بمقارض من نار ، فقلت : من أنتم ؟ قالوا : كنا نأمر بالخير ولا نأرثه ! و نهى عن الشر و نأرثه ! »<sup>(١٨)</sup> .

فإياك يا مسكون أن تذعن لتزويره ؛ فيدللك بحبيل غروره ، فويل للجاهل حيث لم يتعلم مرة واحدة ، و ويل للعالم حيث لم يعمل بما عمل ألف مرة .

واعلم أن الناس في طلب العلم على ثلاثة أحوال :

رجل طلب العلم ليتخذه زاده إلى المعاد ، ولم يقصد به إلا وجه الله والدار الآخرة ؛ فهذا من الفائزين .

ورجل طلبه ليستعين به على حياته العاجلة ، وينال به العز والجاه والمال ، وهو عالم بذلك ، مستشعر في قلب رئاكتة حاله وحسنه مقاصده ، فهذا من المخاطرين . فإن عاجله أجله قبل التوبة خيف عليه من سوء الخاتمة ، وبقى أمره في خطر المشيئه ؛ وإن وفق للتوبة قبل حلول الأجل ، وأضاف إلى العلم العمل ، وتدارك مافرط منه من الخلل - التحق بالفائزين ، فإن التائب من الذنب كمن لا ذنب له .

ورجل ثالث استحوذ عليه الشيطان ؛ فاتخذ علمه ذريعة إلى التكاثر بالمال ، والتفاخر بالجاه ، والتعزز بكثرة الأتباع ، يدخل بعلمه كل مدخل رحاء أن يقضى من الدنيا وطره<sup>(١٩)</sup> ، وهو مع ذلك يضرم في نفسه أنه عند الله بمكانة ، لاتسامه باسمة العلماء ، وترسمه برسومهم في الرى والمنطق ، مع تكالبه<sup>(٢٠)</sup> على الدنيا ظاهرا وباطنا .. فهذا من الحالكين ، ومن الحمقى المغرورين ؛ إذ الرجاء منقطع عن توبته لظنه أنه

(١٨) رواه ابن حبان ، من حديث أنس .

(١٩) وطره : حاجته .

(٢٠) مع تكالبه : أى مع حرمه الشديد ونهايته البالغ .

من المحسنين ، وهو غافل عن قوله تعالى : ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آتَيْنَا لَمْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾<sup>(٢١)</sup> . وهو من قال فيهم رسول الله : «أنا من غير الدجال أخوف عليكم من الدجال» فقيل : وما هو يارسول الله ؟ ، فقال : «علماء السوء»<sup>(٢٢)</sup> . وهذا لأن الدجال غايته الإضلal ، ومثل هذا العالم وإن صرف الناس عن الدنيا بسانده ومقاله فهو داع لهم إليها بأعماله وأحواله ، ولسان الحال أفعى من لسان المقال ، وطبع الناس إلى المساعدة في الأعمال أميل منها إلى المتابعة في الأقوال ؛ فما أفسد هذه المغدور بأعماله أكثر مما أصلحه بأقواله ، إذ لا يستجرب الجاهل على الرغبة في الدنيا إلا باستجراء العلماء ، فقد صار علمه سببا لجرأة عباد الله على معاصيه ، ونفسه الجاهلة مذلة مع ذلك تمنيه وترجيه ، وتدعوه إلى أن يبن على الله بعلمه ، وتخيل إليه نفسه أنه خير من كثير من عباد الله .

فكن أيها الطالب من الفريق الأول ، واحذر أن تكون من الفريق الثاني ؛ فكم من مسوف عاجله الأجل قبل التوبة فخسر ، وإياك ثم إياك أن تكون من الفريق الثالث ؛ فتهلك هلاكا لا يرجى معه فلاحك ، ولا ينتظر صلاحك .

فإن قلت : بما بدأية الهدایة لأجرب بها نفسى ، فاعلم أن بدايتها ظاهرة التقوى ، ونهايتها باطنة التقوى ؛ فلا عاقبة إلا بالتقوى ، ولا هداية إلا للمنتقين .

والتقوى عبارة عن امثالي أوامر الله تعالى ، واجتناب نواهيه ؛ فهما قسمان ، وهأنا أشير عليك بعمل مختصرة من ظاهر علم التقوى في القسمين جميعا ، وألحق قسمًا ثالثا ليصير هذا الكتاب جامعا مغنيا والله المستعان .

<sup>(٢١)</sup> الصف : ٢ .

<sup>(٢٢)</sup> رواه أحمد . من حديث أبي ذر ، بإسناد حيد .

# القسم الأول

## في الطاعات

\* توطئة

\* آداب الاستيقاظ من النوم

\* آداب دخول الخلاء

\* آداب الوضوء

\* آداب الغسل

\* آداب التيمم

\* آداب الخروج إلى المسجد

\* آداب دخول المسجد

\* آداب ما بعد طلوع الشمس إلى الزوال

\* آداب الاستعداد لسائر الصلوات

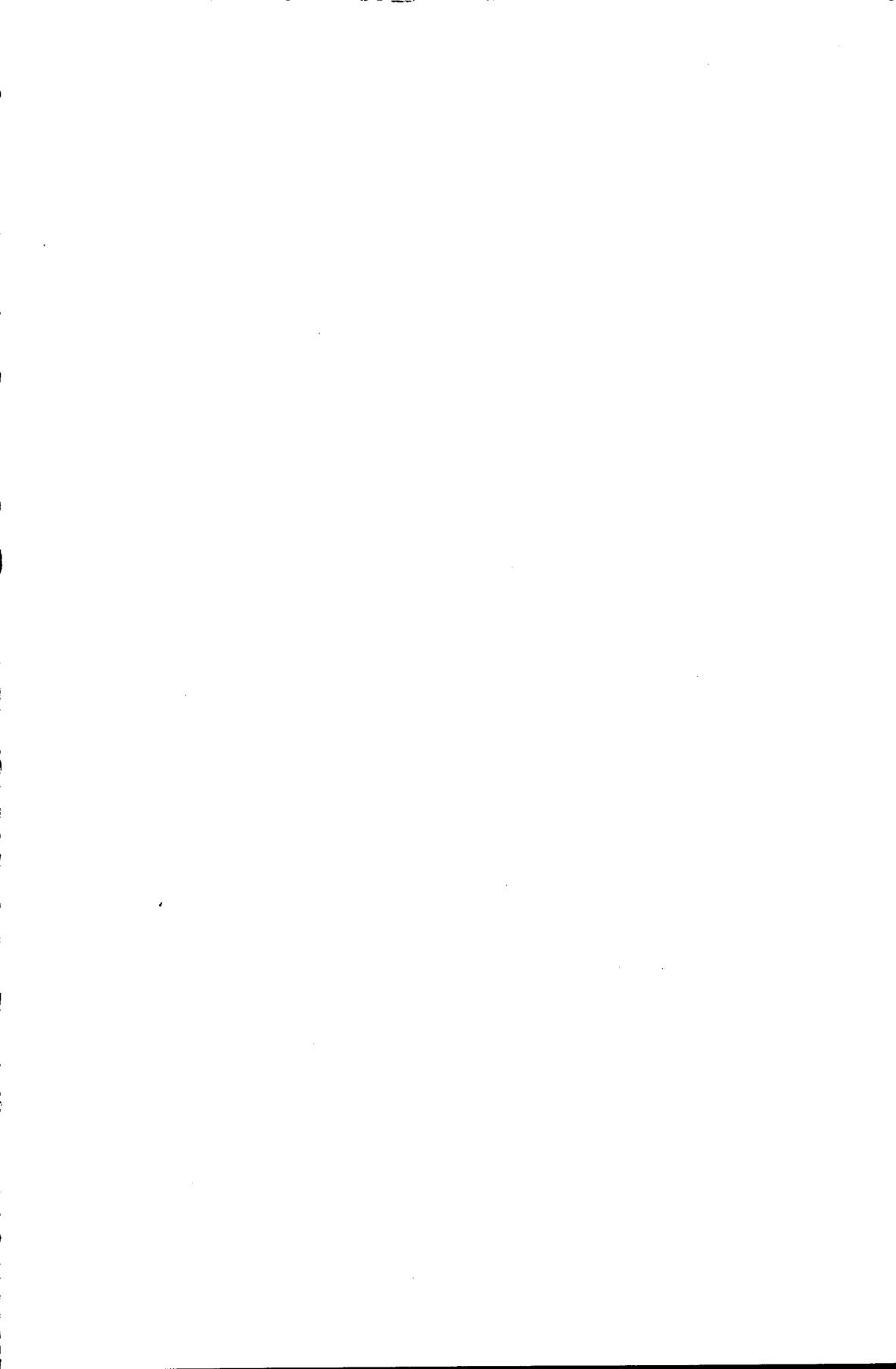
\* آداب النوم

\* آداب الصلاة

\* آداب الإمامة والقدوة

\* آداب الجمعة

\* آداب الصيام



## توضية

اعلم أن أوامر الله تعالى فرائض ونواقل ؛ فالفرض رأس المال ، وهو أصل التجارة وبه تحصل النجاة ، والنفل هو الربح وبه الفوز بالدرجات ، قال ﷺ : « يقول الله تبارك وتعالى : ماتقرب إلى المتقربون بمثل أداء ما افترضت عليهم ، ولا يزال العبد يتقرب إلى بالتوافق حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ولسانه الذي ينطق به ، ويده التي يطش بها ، ورجله التي يمشي بها »<sup>(٢٣)</sup> .

ولن تصل إليها الطالب إلى القيام بأوامر الله تعالى إلا بمراقبة قلبك وجوارحك في لحظاتك وأنفاسك ، حين تصبح إلى حين تنسى . فاعلم أن الله تعالى مطلع على ضميرك ، ومشرف على ظاهرك وباطنك ، ومحيط بجميع لحظاتك ، وخطراتك ، وخطواتك ، وسائر سكناتك وحر كاتك ؛ وأنك في مخالطتك وخلواتك متعدد بين يديه ؛ فلا يسكن في الملك والملكون<sup>(٢٤)</sup> ساكن ، ولا يتحرك متحرك ، إلا وجبار السموات والأرض مطلع عليه ، يعلم خائنة الأعين<sup>(٢٥)</sup> وما تخفي الصدور ، ويعلم السر وأخفى ؛ فتأدب إليها المسكين ظاهراً وباطناً بين يدي الله تعالى تأدب العبد الذليل المذنب في حضرة الملك الجبار القهار ، واجتهد ألا يراك مولاك حيث نهاك ، ولا يفقدك حيث أمرك .

(٢٣) متყع عليه ، من حديث أبي هريرة ، نحوه . وهو في الخلية ، من حديث أنس ، بسنده ضعيف .

(٢٤) الملكون : العز والسلطان والملك العظيم .

(٢٥) خائنة الأعين : الظرة الخائنة إلى ما لا يعل .

ولن تقدر على ذلك إلا بأن توزع أوقاتك ، وترتب أورادك من  
صباحك إلى مسائلك ، فاصبح إلى ما يلقى إليك من أوامر الله تعالى عليك  
من حين تستيقظ من منامك إلى وقت رجوعك إلى مضجعك .

## فصل : في آداب الاستيقاظ من النوم

إذا استيقظت من النوم ، فاجتهد أن تستيقظ قبل طلوع الفجر ،  
ول يكن أول مانجوى على قلبك ولسانك ذكر الله تعالى ؛ فقل عند  
ذلك : الحمد لله ، أحياناً بعد ما أماتنا وإليه الشور ، أصبحنا وأصبح  
الملك لله ، والعظمة والسلطان لله ، والعزة والقدرة لله رب العالمين ؛  
أصبحنا على فطرة الإسلام ، وعلى كلمة الإخلاص ، وعلى دين نبينا  
محمد ﷺ ، وعلى ملة أبيينا إبراهيم حنيفا مسلماً وما كان من  
المشركين ؛ اللهم بك أصبحنا ، وبك أمسينا ، وبك نحيا ، وبك نموت ،  
وإليك الشور ؛ اللهم إنا نسألك أن تبعثنا في هذا اليوم إلى كل خير ،  
ونعوذ بك أن نجترح فيه سوءاً<sup>(٢٦)</sup> ، أو نجره إلى مسلم ، أو يجره أحد  
إلينا ؛ نسألك خير هذا اليوم وخير ما فيه ؛ ونعوذ بك من شر هذا  
اليوم وشر ما فيه .

فإذا لبست ثيابك فانو به استئثار أمر الله تعالى في ستر عورتك ،  
واحذر أن يكون قصدك من ابتسك مراءة الخلق فتتسر .

\* \* \*

---

(٢٦) أى نعوذ بك أن نكتسب ذنباً أو معصية .

## باب : آداب دخول الخلاء

فإذا قصدت بيت الماء لقضاء الحاجة ، فقدم في الدخول رجلك اليسرى ، وفي الخروج رجلك اليمنى ، ولا تستصحب شيئاً عليه اسم الله تعالى ورسوله . ولاتدخل حاسر الرأس<sup>(٢٧)</sup> ، ولا حاف القدمين .

وقل عند الدخول : باسم الله ، أعوذ بالله من الرجس النجس ،  
الخبيث المُحْبِث ، الشيطان الرجيم .

وعند الخروج : غفرانك ، الحمد لله الذي أذهب عنى ما يؤذيني وأبقى فى ما ينفعنى .

وينبغى أن تعد النيل<sup>(٢٨)</sup> قبل قضاء الحاجة ، وألا تستتحى بالماء في  
موضع قضاء الحاجة<sup>(٢٩)</sup> ، وأن تستبرئ من البول بالتنحنح والتنـر  
ثلاثاً ، وبإمارار اليـد اليسـرى على أسفل القـضـيب .

وإن كنت في الصحراء ، فابعد عن عيون الناظرين ، واستتر بشيء  
إن وجدته ، ولا تكشف عورتك قبل الانتهاء إلى موضع الجلوس .  
ولا تستقبل الشمس ولا القمر ، ولا تستقبل القبلة ولا تستدبرها ،  
ولا تجلس في متحدث الناس ، ولا تأتمل في الماء الراكد وتحت الشجرة

(٢٧) أى لاتدخل مكشوف الرأس ، يقال : حسر الشـىء يـسر حـسـرـاً - انـكـشـف ، وـحـسـرـ الشـىـء  
بعـرهـ كـشـفـهـ ، وـاحـسـرـ الشـىـءـ انـكـشـفـ .

(٢٨) النـيلـ : جـمعـ نـيلـهـ ، وـهـيـ الأـحـجـارـ الـتـىـ يـسـجـمـ بـهـ .

(٢٩) وـذـلـكـ إـذـاـ لمـ يـكـنـ فـيـ دـوـرـةـ مـيـاهـ .

المشرمة ، ولا في الحجر ، واحذر الأرض الصلبة ومهب الربيع ؛ احترازا من الشاش لقوله عليه صلوات الله عليه : « إن عامة الوسوس منه »<sup>(٣٠)</sup> .

واتكىء في جلوسك على الرجل اليسرى ، ولا تبل قائما إلا عن ضرورة ، واجمع في الاستنجاء بين استعمال الحجر والماء ، فإذا أردت الاقصرار على أحدهما فلماهأفضل ، وإذا اقتصرت على الحجر فعليك أن تستعمل ثلاثة أحجار طاهرة منشفة للعين ، تمسح بها محل النجو<sup>(٣١)</sup> ، بحيث لا تنتقل النجاسة عن موضعها ، وكذلك تمسح القضيب في ثلاثة مواضع من حجر ، فإن لم يحصل الإنقاء بثلاثة فتمم خمسة أو سبعة إلى أن ينقى بالإيتار<sup>(٣٢)</sup> ؛ ف بالإيتار مستحب والإنقاء واجب . ولا تستعج إلا باليد اليسرى .

وقل عند الفراغ من الاستنجاء : اللهم طهر قلبي من النفاق ، وحسن فرجي من الفواحش . وادعك يدك بعد تمام الاستنجاء بالأرض أو بخائط ، ثم أغسلها .

---

(٣٠) رواه أصحاب السنن ، من حديث عبد الله بن مغفل . قال الترمذى : غريب ، وقال العراف : إسناده صحيح .

(٣١) أى محل العائط .

(٣٢) أى بالوقت .

## باب : آداب الوضوء

فإذا فرغت من الاستنجاء ، فلا ترك السواك ؛ فإنه مطهرة للجسم ، ومَرْضَاة للرب ، ومسخطة للشيطان ؛ وصلاة بسواك أفضل من سبعين صلاة بلا سواك . وروى عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله عليه السلام : « لو لا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك في كل صلاة »<sup>(٣٣)</sup> ، وعنده عليه السلام : « أمرت بالسواك حتى خشيت أن يكتب على » .

ثم جلس للوضوء مستقبل القبلة على موضع مرتفع كى لا يصبهك الرشاش ، وقل : بسم الله الرحمن الرحيم ، رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرنون .

ثم أغسل يديك ثلاثا قبل أن تدخلهما الإناء ، وقل : اللهم إني أسألك اليمن والبركة ، وأعوذ بك من الشؤم والهلكة .

ثم انو رفع الحدث واستباحة الصلاة ، ولا ينبغي أن تعزب<sup>(٣٤)</sup> نيتك قبل غسل الوجه ، فلا يصح وضوئك .

ثم خذ غرفة لفمك وتضمض بها ثلاثا ، وبالغ في رد الماء إلى الغلصمة<sup>(٣٥)</sup> ، إلا أن تكون صائمًا فترفق ، وقل اللهم أعنى على تلاوة كتابك وكثرة الذكر لك ، وثبتني بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة .

(٣٣) متفق عليه من حديث أبي هريرة .

(٣٤) تعزب : تغيب وتخفي ، فعليك أن تستحضرها .

(٣٥) الغلصمة : اللحم بين الرأس والعنق .

ثم خذ غرفة لأنفك واستنشق بها ثلثا، واستنتثر ما في الأنف من رطوبة، وقل في الاستنشاق : اللهم أرحني<sup>(٣٦)</sup> رائحة الجنة وأنت عنى راض، وفي الاستئثار : اللهم إني أعوذ بك من رواح النار وسوء الدار.

ثم خذ غرفة لوجهك، فاغسل بها من مبتداً تستطيع الجبهة إلى منتهى ما يقبل من الذقن في الطول، ومن الأذن إلى الأذن في العرض، وأوصل الماء إلى موضع التحذيف، وهو ما يعتاد النساء تنحية الشعر عنه، وهو ما يبين رأس الأذن إلى زاوية الجبين، أعني ما يقع منه في جبهة الوجه، وأوصل الماء إلى منابت الشعور الأربع : الحاجبين، والشاربين، والأهداب، والعذارين (وهما ما يوازيان الأذنين، من مبتداً اللحية)، ويجب إيصال الماء إلى منابت الشعر من اللحية الخفيفة، دون الكثافة؛ وقل عند غسل الوجه : اللهم بيض وجهي بنورك يوم تبيضُ وجوه أوليائك، ولا تسود وجهي بظلماتك يوم تسود وجوه أعدائك .. ولا تترك تحليل اللحية الكثيفة.

ثم اغسل يدك اليمنى، ثم اليسرى مع المرفقين إلى أنصاف العضدين، فإن الخلية في الجنة تبلغ مواضع الوضوء . وقل عند غسل اليد اليمنى : أعطني كتاني بيميني، وحاسبني حساباً يسيراً؛ وعند غسل الشمال : اللهم إني أعوذ بك أن تعطيني كتاني بشمالي أو من وراء ظهرى .

ثم استوعب رأسك بالمسح، بأن تبلأ يديك وتلتصق رءوس أصابع يدك اليمنى باليسرى، وتضعهما على مقدمة الرأس، وتمررها إلى القفا، ثم ترددتها إلى المقدمة، فهذه مرة، تفعل ذلك ثلاث مرات، وكذلك في سائر الأعضاء، وقل : اللهم غشّنى<sup>(٣٧)</sup> برحمتك، وأنزل على من

(٣٦) أرحني : أى أجعلنى أشم رائحة الجنة .

(٣٧) غشى : غطى .

بر كاتك ، وأظلنى تحت ظل عرشك يوم لا ظل إلا ظلك ، اللهم حرم  
شعرى وبشري<sup>(٣٨)</sup> على النار .

ثم امسح أذنيك ظاهرها وباطنها بماء جديد ، وأدخل  
مسبحتك<sup>(٣٩)</sup> في صماخى أذنيك ، وامسح أذنيك بيطن إيهاميك ،  
وقل : اللهم اجعلنى من الذين يستمرون القول فيتبعون أحسنه ، اللهم  
أسمعني منادى الجنة في الجنة مع الأبرار .

ثم امسح رقبتك ، وقل : اللهم فك رقبتى من النار ، وأعوذ بك من  
السلسل والأغلال .

ثم أغسل رجلك اليمنى ثم اليسرى مع الكعبين ، وخلل بخنصر  
اليسرى أصابع رجلك اليمنى مبتداً بخنصرها ، حتى تختتم بخنصر  
اليسرى ، وتدخل الأصابع من أسفل ، وقل : اللهم ثبت قدمى على  
الصراط المستقيم مع أقدام عبادك الصالحين .. وكذلك تقول عند  
غسل اليسرى : اللهم إني أعوذ بك أن تزول قدمى على الصراط في  
النار يوم تزل أقدام المنافقين والمرتکين . وارفع الماء إلى أنصاف  
الساقين ، وراع التكرار ثلاثة في جميع أفعالك .

فإذا فرغت ، فارفع بصرك إلى السماء ، وقل : أشهد أن لا إله إلا  
الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله ، سبحانك  
اللهم وبحمدك ، أشهد أن لا إله إلا أنت ، أنت التواب الرحيم ؛ اللهم  
اجعلنى من التوابين ؛ واجعلنى من المتطهرين ، واجعلنى من عبادك  
الصالحين ؛ واجعلنى صبوراً ، شكوراً ؛ واجعلنى أذكرك ذكراً كثيراً ،  
وأسبحك بكرة وأصيلاً .

---

(٣٨) بشري : جلد البشرة .

(٣٩) أي إاصبع السبابية .

فمن قرأ هذه الدعوات في وضوئه خرجت خطاياه من جميع أعضائه ، وختم على وضوئه بخاتم ، ورفع له تحت العرش ، فلم ينزل يسبح الله تعالى ويقدسه ، ويكتب له ثواب ذلك الى يوم القيمة .

### واجتب في وضوئك سبعا :

لاتنفس يديك فترش الماء ، ولا تلطم وجهك ورأسك بالماء لطما ،  
ولا تكلم في أثناء الوضوء ، ولا تزد في الغسل على ثلاث مرات ،  
ولاتكثر صب الماء من غير حاجة بمجرد الوسوسه ، فللموسوسين  
شيطان يضحك بهم يقال له «الوهان» ، ولا تتوضأ بالماء المشمس ،  
ولامن الأواني الصفرية<sup>(٤٠)</sup> ؛ فهذه السبعة مكرروهه في الوضوء<sup>(٤١)</sup>

وفي الخبر أن : «من ذكر الله عند وضوئه طهر الله جسده كله ،  
ومن لم يذكر الله لم يطهر منه إلا ما أصابه الماء»<sup>(٤٢)</sup>

\* \* \*

(٤٠) الأواني الصفرية : أي النحاسية .

(٤١) بلزيد من التوثيق انظر «فهم الصلاة» للحارث الحماسي ، من دراستي وتحقيقى ، إصدار مكتبة القرآن .

(٤٢) رواه الدارقطنى ، من حديث أبي هريرة ، بإسناد ضعيف .

## آداب الغسل

فإذا أصابتك جنابة ، من احتلام أو وقوع ، فخذ الإناء إلى المغسل ،  
واغسل يديك أولاً ثلاثة ، وأرزل ما على بدنك من قدر ، وتوضأ كما سبق  
في وضوئك للصلاة مع جميع الدعوات ، وأخر غسل قدميك ، كيلا  
يُضيّع الماء ، فإذا فرغت من الوضوء فصب الماء على رأسك ثلاثة وأنت  
ناو رفع الحدث من الجنابة ، ثم على شفك الأيمن ثلاثة ، ثم على الأيسر  
ثلاثة ، وادعك ما قبل من بدنك وما أدبر ثلاثة ، وخلل شعر  
رأسك ولحيتك ، وأوصل الماء إلى معاطف البدن ومنابت الشعر  
ما خفف منه وما كثف .

واحذر أن تمس ذكرك بعد الوضوء ، فإن أصابته يدك فأعد  
الوضوء<sup>(٤٣)</sup> .

والفرضية من جملة ذلك كلها: النية ، وإزالة التجارة ، واستيعاب  
البدن بالغسل .

(٤٣) لختلف العلماء في مس الذكر على ثلاثة مذاهب : فمنهم من رأى الوضوء فيه كيما منه ، وهو مذهب الشافعى وأصحابه وأحمد وداود ؛ ومنهم من لم ير فيه وضوءاً أصلاً ، وهو أبو حنيفة وأصحابه . ولكلما الفريقيين سلف من الصحابة والتابعين . وفرقوا بين أن يمسه بحال ، أو لا يمسه بحال . وهؤلاء اتفقوا فيه فرقاً ؛ ففيهم من فرق فيه بين أن يلتصق أو لا يلتصق ، ومنهم من فرق بين أن يمسه بياطэр الكف أو لا يمسه بياطэр الكف ، أو لا يمسه ، فأوحوا الوضوء مع اللذة ، ولم يوجوه مع عدمها ، وكذلك أوجبه قوم مع المس بياطэр الكف ، ولم يوجوه مع المس بظاهرها ، وهذا اعتباران مرويان عن أصحاب مالك ، وكان اعتبار بياطэр الكف راجعاً إلى اعتبار سبب اللذة . وفرق قوم في ذلك بين العمدة والسبيان ، فأوحوا الوضوء منه مع العمدة ، ولم يوجوه مع السبيان ، وهو مروى عن مالك ، وهو قول داود وأصحابه . ورأى قوم أن الوضوء من مسه سنة لا واحد ، قال أبو عمر : وهذا الذي استقر من مذهب مالك عن أهل المغرب من أصحابه ، والرواية عنه فيه مضطربة .

وفرض الوضوء : غسل الوجه واليدين مع المرفقين ، ومسح بعض الرأس ، وغسل الرجلين إلى الكعبين مرة ، مع النية والترتيب . وما عداها سنن مؤكدة ، فضلها كثير ، وثوابها جزيل ، والتهاون بها خاسر ، بل هو بأصل فرائضه مخاطر ؛ فإن التوافل جواير للفرائض <sup>(٤٤)</sup> .

\* \* \*

---

(٤٤) المراد أن التوافل تجبر أو تكمل ما قد يكون في الفرائض من نقص أو خلل . ومتى زيد من التوثيق حول آداب الغسل انظر «فهم الصلاة» للمحاسبي بتحقيقى .

## آداب التيمم

فإن عجزت عن استعمال الماء لفقدة بعد الطلب، أو لعدر من مرض، أو لمانع من الوصول إليه من سبع أو حبس، أو كان الماء الحاضر تحتاج إليه لعطشك، أو لعطش رفيقك، أو كان ملكاً لغيرك ولم يبع إلا بأكثر من ثمن المثل، أو كان بك جراحة أو مرض تخاف منه على نفسك - فاصبر حتى يدخل وقت الفريضة، ثم اقصد صعيداً طيباً<sup>(٤٥)</sup> عليه تراب حالص طاهر لين، فاضرب عليه بكفيك ضاماً بين أصابعك، وانزف استباحة فرض الصلاة، وامسح بهما وجهك كلها مرة، ولا تتكلف إيصال الغبار إلى منابت الشعر خف أو كثف، ثم انزع خاتمك، واصرب ضربة ثانية مفرجاً ما بين أصابعك، وامسح بهما يديك مع مرافقيك، فإن لم تستوعبهما، فاضرب ضربة أخرى إلى أن تستوعبهما، ثم امسح إحدى كفيك بالأخرى، وامسح ما بين أصابعك بالتلليل.

وصل به فرضاً واحداً وما شئت من التوافل، فإن أردت فرضاً ثانياً فاستأنف تيمماً آخر.

\* \* \*

---

(٤٥) لقوله تعالى : «.. فلم تخذوا ماء فنسموا صعيداً طيباً فامسحوا بوجوهكم وأيديكم» ، والمراد بالصعيد الطلب وجه الأرض الظاهر، أي فاقصدوا شيئاً من وجه الأرض ظاهراً . واحتلّ العلماء في الصعيد الطيب، فعنهم من قال : إنه وجه الأرض تراباً كان أو حجراً، ومنهم من قال : إنه التراب فقط .. وتفصيل ذلك بطلب من كتب الفقه .

## آداب الخروج إلى المسجد

فإذا فرحت من طهارتك ، فصل في بيتك ركتبي الصبح إن كان الفجر قد طلع ، كذلك كان يفعل رسول الله ﷺ ، ثم يتوجه إلى المسجد .

ولاتدع الصلاة في الجماعة ، لاسيما الصبح ؛ فصلاة الجماعة تفضل على صلاة الفرد بسبعين وعشرين درجة . فإن كنت تتسرّع في مثل هذا الربع ، فأى فائدة لك في طلب العلم ؟ وإنما ثمرة العلم العمل به .

فإذا سعيت إلى المسجد ، فامض على هينة و töدة وسکينة ، ولا تعجل ، وقل في طريقك : اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك ، وبحق الراغبين إليك ، وبحق مشاي هذا إليك ؛ فإني لم أخرج أشرا<sup>(٤٦)</sup> ، ولا بطرا<sup>(٤٧)</sup> ، ولا رباء ، ولا سمعة ، بل خرجت اتقاء سخطك ، وابتغاء مرضاتك ؛ فأسألك أن تنقذني من النار ، وأن تغفر لي ذنبي ؛ فإنه لا يغفر الذنب إلا أنت .

\* متمن عليه .

(٤٦) أشراً أي متكيراً .

(٤٧) بطراً أي جاحداً ومنكراً لعملي وفضلك .

## آداب دخول المسجد

فإذا أردت الدخول إلى المسجد، فقدم رجلك اليمنى، وقل : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وصحبه وسلم ؛ اللهم اغفر لى ذنوبى وافتح لى أبواب رحمتك .

ومهما رأيت في المسجد مَنْ يبيع أو يبَاتِع ، فقل : لا أربع الله تجارتكم . وإذا رأيت فيه من ينشد ضالة ، فقل : لا رَأْدَ الله عليك ضالتك - كذلك أمر رسول الله ﷺ (٤٨) .

فإذا دخلت المسجد ، فلا تجلس حتى تصلي ركعتي التحية . فإن لم تكن على طهارة ، أو لم تردد فعلها كفتكم الباقيات الصالحات ثلاثة ، وقيل أربعا ، وقيل ثلاثة للمحدث وواحدة للمتوسط . فإن لم تكن صلิต في بيتك ركعتي الفجر ، فيجزئك أداءهما عن التحية .

فإذا فرغت من الركعتين ، فانو الاعتكاف ، وادع بما دعا به رسول الله ﷺ بعد ركعتي الفجر ، فقل : «اللهم إني أسألك رحمة من عندك ، تهدى بها قلبي ، وتحمّل بها شملي ، وتلم بها شعنى (٤٩) ، وترد بها أفتى (٥٠) ، وتصلح بها ديني ، وتحفظ بها غائي ، وترفع بها شاهدى (٥١) ، وتنزك بها عملى ، وتبغض بها وجهى ، وتلهمنى بها

(٤٨) فقد روى الإمام الترمذى فى آخر كتاب البيوع ، عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «إذا رأيتم من يبيع أو يبَاتِع في المسجد ، فقولوا : لا أربع الله تجارتكم ؛ وإذا رأيتم من ينشد فيه ضالة ، فقولوا : لا رَأْدَ الله عليك ضالتك» ، قال الترمذى : حديث حسن .

(٤٩) تلم بها شعنى بفتحتين : أى تصلح بها ماقررق من أمورى .

(٥٠) ترد بها أفتى : أى مأمور ، أو ما كنت آلفه من العادات .

(٥١) ترفع بها شاهدى : أى الحاضرين من أهل أو ماظهر من أعمال وأحوال .

رشدى ، وتقضى لى بها حاجتى ، وتعصمنى بها من كل سوء ؛ اللهم  
 إنى أسائلك إيمانا خالصا دائمًا يباشر قلبي ، ويقينا صادقا ، حتى أعلم أنه  
 لن يصيبنى إلا ما كتبته على ، ورضنى بما قسمته لي ؛ اللهم إنى أسائلك  
 إيمانا صادقا ، ويقينا ليس بعده كفر ؛ وأسائلك رحمة أنانا بها شرف  
 كرامتك في الدنيا والآخرة ؛ اللهم إنى أسائلك الفوز عند اللقاء ،  
 والصبر عند القضاء ، ومنازل الشهداء ، وعيش السعداء ، والنصر على  
 الأعداء ، ومرافقة الأنبياء ؛ اللهم إنى أنزل بك حاجتى ، وإن ضعف  
 رأىي وقصر عملى ، وافتقرت إلى رحمتك ؛ فأسائلك ياقاضى الأمور ،  
 وياشاف الصدور ، كما تجيز بين البحور<sup>(٥٢)</sup> أن تجيرنى من عذاب  
 السعير ، ومن دعوة الشبور<sup>(٥٣)</sup> ، ومن فتنة القبور ؛ اللهم ما قصر عن  
 رأىي ، وضعف عنه عملى ، ولم تبلغه نيتى وأمنيتى ، من خير وعدته  
 أحدا من عبادك ، أو خير أنت معطيه أحدا من خلقك ؛ فإنى أرغب  
 إليك فيه ، وأسائلك إياه يارب العالمين ؛ اللهم اجعلنا هادين مهتدين ،  
 غير ضالين ولا مضلين ؛ حربا لأعدائك ، سلما لأولائك ، نحب بمحبك  
 الناس ، ونعادى بعذواتك من خالفك من خلقك ؛ اللهم هذا الدعاء  
 وعليك الإجابة ، وهذا الجهد وعليك التكلان ، وإن الله وإنما إليه  
 راجعون ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ؛ اللهم ذا الحبل  
 الشديد<sup>(٥٤)</sup> ، والأمر الرشيد ، أسألك الأمان يوم الوعيد ، والجنه يوم  
 الخلود مع المقربين الشهود ، والركع السجود ، الموفين لك بالعهود ؛  
 إنك رحيم ودود ، وإنك تفعل ماتريد ، سبحان من تعطف بالعز وقال  
 به<sup>(٥٥)</sup> ، سبحان من ليس المجد وتكرم به ، سبحان من لا ينبعى التسبیح  
 إلا له ، سبحان ذى الفضل والنعم ، سبحان ذى الجود والكرم ،

(٥٢) أى شئ أحدهما من البغي على الآخر والاختلاط به رغم الاتصال .

(٥٣) أى من دعوة الملائكة ، ودعوه الملائكة أن يقال : واثوراؤه .

(٥٤) الحبل الشديد : كثابة عن التنة والتوة .

(٥٥) أى غلب به .

سبحان الذي أحسى كل شيء بعلمه ؛ اللهم اجعل لي نورا في قلبي ،  
ونورا في قبرى ، ونورا في سمعى ، ونورا في بصرى ، ونورا في شعري ،  
ونورا في بشرى ، ونورا في لحمى ، ونورا في دمى ، ونورا في عظامى ،  
ونورا من بين يدى ، ونورا من خلفى ، ونورا من مينى ، ونورا عن  
شمالى ، ونورا من فوق ، ونورا من تحتى ؛ اللهم زدن نورا ، وأعطنى  
نورا أعظم نور ، واجعل لي نورا برحمتك يا أرحم الراحمين .

فإذا فرغت من الدعاء ، فلا تشتبك إلى وقت الفرض إلا بفك  
وتسبيح أو قراءة قرآن . فإذا سمعت الأذان في أثناء ذلك ، فاقطع  
ما أنت فيه واستغل بجواب المؤذن .

فإذا قال المؤذن : الله أكبر ، فقل مثل ذلك ، وكذلك في كل كلمة  
إلا في الحيلتين<sup>(٥٦)</sup> فقل فيما : لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .  
فإذا قال : الصلاة خير من النوم ، فقل : صدقت وبررت وأنا على  
ذلك من الشاهدين . فإذا سمعت الإقامة فقل مثل ما يقول ، إلا في  
قوله : قد قامت الصلاة ، فقل : أقامها الله وأدامها مادامت السموات  
والأرض . فإذا فرغت من جواب المؤذن فقل : اللهم إني أسألك عند  
حضور صلاتك ، وأصوات دعائتك ، وإدبار ليلك ، وإقبال نهارك : أن  
تؤتي حمداً الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة ، وابعثه المقام المحمد  
الذي وعدته ؛ إنك لا تختلف الميعاد يا أرحم الراحمين . فإذا سمعت  
الأذان وأنت في الصلاة فتم الصلاة ، ثم تدارك الجواب بعد السلام  
على وجهه .

فإذا أحزم الإمام بالفرض ، فلا تشتبك إلا بالاقتداء به ، وصل  
الفرض كما سيتلى عليك في كيفية الصلاة وأداتها ، فإذا فرغت فقل :

---

(٥٦) الحيلتين : أى حى على الصلاة ، حى على الصلاة .. حى على الفلاح ، حى على الفلاح ..

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وسلم ، اللهم أنت السلام ، ومنك السلام ، وإليك يعود السلام ، فحيينا ربنا بالسلام ، وأدخلنا الجنة دار السلام ؛ تبارك ياذا الجلال والإكرام ؛ سبحان ربى العلى الأعلى الوهاب ، لا إله إلا الله وحده لأشريك له ، له الملك ، وله الحمد ، يحيى ويحيى ، وهو حى لا يموت ، بيده الخير ، وهو على كل شيء قادر ، لا إله إلا الله ، أهل النعمة والفضل والثناه الحسن ، لا إله إلا الله ، ولا نعبد إلا إياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون .

ثم ادع بعد ذلك بالجواب على الكوامل ، وهو ما علمناه من رسول الله عليه السلام - عائشة رضي الله عنها ، فقل : «اللهم إني أسألك من الخير كله عاجله وآجله ما علمناه منه وما لم أعلم ، وأعوذ بك من الشر كله عاجله وآجله ما علمناه منه وما لم أعلم ، وأسألك الجنة وما يقرب إليها من قول وعمل ونية واعتقاد ، وأعوذ بك من النار وما يقرب إليها من قول وعمل ونية واعتقاد ، وأسألك من خير مسائلك منه عبدك ونبيك محمد عليهما السلام ، وأعوذ بك من شر ما استعاذه منه عبدك ونبيك محمد عليهما السلام ، وما قضيت على من أمر فاجعل عاقبته رشدا»<sup>(٥٧)</sup> .

ثم ادع بما أوصى به رسول الله عليه السلام فاطمة رضي الله عنها ، فقل : «يا حى ياقيوم ، ياذا الجلال والإكرام ، لا إله إلا أنت برحمتك أستغاث ، ومن عذابك أستجير ، لا تتكلننى إلى نفسي ، ولا إلى أحد من خلقك طرفة عين ، وأصلح لى شأنى كله بما أصلحت به الصالحين»<sup>(٥٨)</sup> .

---

(٥٧) رواه ابن ماجه ، والحاكم وصححه ، من حديث عائشة .

(٥٨) رواه الحكم ، من حديث أنس ، وقال : صحيح على شرط الشيخين .

ثم قل مقاله عيسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام :

اللهم إني أصبحت لا أستطيع دفع ما أكره، ولا أملك نفع  
ما أرجو، وأصبح الأمر بيديك لا يهدى غيرك، وأصبحت مرتهنا بعمل؟  
فلا فقير أفقير مني إليك، ولا غنى أغني منك عنى، اللهم لاتشمت بى  
عدوى، ولا تسو بى صديقى، ولا تجعل مصيبي فى دينى، ولا تجعل  
الدنيا أكبر همى ولا مبلغ علمى، ولا تسلط علىّ بذنبى من  
لا يرحمنى <sup>(٥٩)</sup>.

ثم ادع بما بدا لي من الدعوات المشهورات، واحفظها مما أوردنا  
في كتاب الدعوات من كتاب «إحياء علوم الدين».

ولتكن أوقاتك بعد الصلاة إلى طلوع الشمس، موزعة على أربع  
وظائف : وظيفة في الدعوات، ووظيفة في الأذكار والدعوات  
وتكررها في مسبحة، ووظيفة في قراءة القرآن، ووظيفة في التفكير ؛  
فتفكر في ذنوبك وخطاياك وتقصيرك في عبادة مولاك، وتعرضك  
لعقابه الأليم وسخطه العظيم .

وترتب بتدبرك أورادك في جميع يومك لتدارك به ما فرط من  
قصيرك، وتحترز من التعرض لسخط الله تعالى الأليم في يومك ،  
وتتلوى الخير لجميع المسلمين ، وتعزم ألا تشغل في جميع نهارك إلا  
بطاعة الله تعالى ، وتقصد في قلبك الطاعات التي تقدر عليها ، وتحتار  
أفضلها ، وتنأمل تيبة أسبابها لتشغل بها ؛ ولا تدع عنك التفكير في  
قرب الأجل ، وحلول الموت القاطع للأمل ، وخروج الأمر عن  
الاختيار ، وحصول الحسرة والندامة بطول الاغترار .

---

(٥٩) انظر «إحياء علوم الدين» لخطة الإسلام الغزال، ج ١، ص ٣١٨ - طبعة مكتبة زهران .

ول يكن من تسايحك، وأذكارك عشر كلمات :

إحداهن : لا إله إلا الله، وحده لاشريك له، له الملك، وله الحمد، يحيى ويميت، وهو حي لا يموت، بيده الخير، وهو على كل شيء قادر<sup>(٦٠)</sup>.

الثانية : لا إله إلا الله الملك الحق المبين<sup>(٦١)</sup>.

الثالثة : لا إله إلا الله، الواحد القهار، رب السموات والأرض وما بينهما، العزيز الغفار.

الرابعة : سبحانه الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم<sup>(٦٢)</sup>.

الخامسة : سُبحَانَ رَبِّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ<sup>(٦٣)</sup>.

السادسة : سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم<sup>(٦٤)</sup>.

(٦٠) حديث الفضل في تكرار «لا إله إلا الله وحده لاشريك له، له الملك، وله الحمد، يحيى ويميت، وهو حي لا يموت، بيده الخير، وهو على كل شيء قادر» متفق عليه، من حديث أبي أيوب، دون قوله : «يحيى ويميت، وهو حي لا يموت، بيده الخير»، فإياها في اليوم والليلة للنسائي، من حديث أنس بن ذئن، دون قوله : «وهو حي لا يموت»؛ وهي كلها عند البزار، من حديث عبد الرحمن بن عوف، فيما يقال عند الصباح والمساء؛ وللطبراني في الدعاء، من حديث عبد الله بن عمر، وتكرارها ألف مرة، وإسناده ضعيف.

(٦١) رواه المستغفري في الدعوات، والخطيب في الرواية، عن مالك من حديث علي، وفيه الفضل بن عامر ضعيف. ولأنه نعم في الخلية، وفيه سليم الحواص ضعيف.

(٦٢) رواه النسائي في اليوم والليلة، وابن حبان، والحاكم وصححه، من حديث أبي سعيد : «استكثروا من الباقيات الصالحت...» وذكرها.

(٦٣) رواه مسلم، من حديث عائشة، أنه عليه السلام كان يقوها في ركوعه وسجوده . ولأنه التسبيح في الشواب، من حديث البراء : «أكثر من أن تقول : سبحان الملك القدس رب الملائكة والروح».

(٦٤) متفق عليه، من حديث أبي هريرة : «من قال ذلك في اليوم مائة مرة حطت خطاباه وإن كانت مثل زيد البحر».

السابعة : أستغفِرُ اللَّهِ الْعَظِيمِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُ الْقَيُومُ ،  
وَأَسْأَلُهُ التَّوْبَةَ وَالْمَغْفِرَةَ <sup>(٦٥)</sup> .

الثامنة : اللَّهُمَّ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ ، وَلَا مَعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ ، وَلَا رَادَ لِمَا  
قَضَيْتَ ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدْ منْكَ الْجَدُّ <sup>(٦٦)</sup> .

النinthة : اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ وَصَاحْبِهِ  
وَسَلِّمْ <sup>(٦٧)</sup> .

العاشرة : بِسْمِ اللَّهِ الَّذِي لَا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي  
السَّمَاوَاتِ ، وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ <sup>(٦٨)</sup> .

تكرر كل واحدة من هذه الكلمات إما مائة مرة، أو سبعين مرة،  
أو عشر مرات، وهو أقله، ليكون المجموع مائة. ولازم هذه الأوراد،  
ولاتتكلم قبل طلوع الشمس؛ ففي الخبر أن ذلك أفضل من اعتاق  
ثمان رقاب من ولد اسماعيل - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - أعني  
الاشتغال بالذكر إلى طلوع الشمس من غير أن يتخلله كلام <sup>(٦٩)</sup> .

\* \* \*

(٦٥) رواه المستغفرى في الدعوات، من حديث معاذ : «أَنَّ مَنْ قَالَهَا بَعْدَ الْفَجْرِ وَبَعْدَ الْعَصْرِ ثَلَاثَ مَرَاتٍ كَفَرَتْ ذُنُوبَهُ وَلَكَنْ كَانَتْ مِثْلَ زَيدَ الْبَحْرِ»، ولنظنه : «وَأَتُوبُ إِلَيْهِ»، وبه ضعف . وهكذا رواه الترمذى من حديث أبي سعيد فى قوله ثلاثاً .

(٦٦) قال العراقى : لم أجد تكرارها فى حديث ، وإنما وردت مطلقاً عقب الصلوات وفي الرابع من الركوع . اهـ . وذلك فيما رواه البخارى ومسلم ، وأبا السنى فى عمل اليوم والليلة (ص ٥٣) بتحقيق الأستاذ عبد القادر أبى حميد عطا .

(٦٧) روى الطبراني ، من حديث أبي الدرداء : «مَنْ صَلَّى عَلَى حِينَ يَصْبِحُ عَشْرَاءِ ، وَحِينَ يَمْسِي عَشْرَاءِ - أَدْرِكَتْهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ» ، وفيه انقطاع .

(٦٨) رواه أصحاب السنن ، وأبي حيان ، والحاكم وصححه ، من حديث عثما : «مَنْ قَالَ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَاتٍ حِينَ يَمْسِي لَمْ يَصِبْ فَجَاهَةَ بَلَاءَ حَتَّى يَصْبِحُ ، وَمَنْ قَالَهَا حِينَ يَصْبِحُ ثَلَاثَ مَرَاتٍ لَمْ يَصِبْ فَجَاهَةَ بَلَاءَ حَتَّى يَمْسِي» ، وقال الترمذى : حسن صحيح غريب .

(٦٩) لم أقف عليه ، ولكن ورد : «لَا أَنْفَدْتُ بِمُخْلِسٍ أَذْكُرُ اللَّهَ تَعَالَى فِيهِ مِنْ صَلَوةِ الْعِدَادِ إِلَى طَلَوْعِ الشَّمْسِ أَحَدَ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ أَعْتَقُ أَرْبِعَ رَقَابًا» . رواه أبو داود من حديث أنس . وأخرج الترمذى من حديث أنس وحسنه : «مَنْ صَلَّى الْفَجْرَ فِي جَمَاعَةٍ ، ثُمَّ قَدَّ مَذْكُورُ اللَّهِ تَعَالَى حَتَّى يَطْلُعَ الشَّمْسُ . مَنْ صَلَّى رِكْعَتَيْنِ ، كَانَتْ لَهُ كَأْجُورُ حَجَةَ وَعُمْرَةَ - تَامَّةٌ تَامَّةٌ .

## آداب ما بعد طلوع الشمس إلى الزوال

فإذا طلعت الشمس وارتفعت قدر رمح، فصل ركعتين، وذلك عند زوال وقت الكراهة للصلوة؛ فإنها مكرهه من بعد فريضة الصبح إلى ارتفاع الشمس.

فإذا أضحي النهار، ومضى منه قريب من ربعه، فصل صلاة الضحى أربعاً أو ستة أو ثمانية، مثنتي، مثنتي؛ فقد نقلت هذه الأعداد كلها عن رسول الله ﷺ (٧٠).

والصلاحة خير كلها؛ فمن شاء فليستكثر، ومن شاء فليستقلل، فليس بين طلوع الشمس والزوال راتبة من الصلاة إلا هذه؛ فما فضل منها من أوقاتك فلك فيه أربع حالات:

**الحالة الأولى، وهي الأفضل:** أن يصرفه في طلب العلم النافع في الدين، دون الفضول الذي أكب الناس عليه وسموه علماً.

والعلم النافع هو ما يزيد في خوفك من الله تعالى، ويزيد في بصيرتك بعيوب نفسك، ويزيد في معرفتك بعبادة ربك، ويقلل من رغبتك في الدنيا، ويزيد في رغبتك في الآخرة، ويفتح بصيرتك بآفات أعمالك حتى تتحرز منها، ويطلعك على مكاييد الشيطان وغروره، وكيفية تلبيسه على علماء السوء، حتى عرضهم لمقت الله تعالى وسخطه؛ حيث أكلوا الدنيا بالدين، واتخذوا العلم ذريعة ووسيلة إلى

(٧٠) روى مسلم، من حديث عائشة رضي الله عنها: أنه عليه السلام كان يصل الضحى أربعاً ويزيد ماشاء الله سبحانه.

وروى الحاكم، من حديث حابر: أنه عليه السلام كان يصل الضحى ست ركعات .. ورجاله ثقات.

وروى الشیخان، عن أم هانئ، أخت علي بن أبي طالب: أنه عليه السلام صل الضحى ثمان ركعات.

أخذ أموال السلاطين ، وأكل أموال الأوقاف واليتامى والمساكين ، وصرفوا همهم طول نهارهم إلى طلب الجاه والمنزلة في قلوب الخلق ، واضطربوا ذلك إلى المرأة ، والمماراة ، والمشaque في الكلام والمباهة .

وهذا الفن من العلم النافع ، قد جمعناه في كتاب «إحياء علوم الدين» ، فإن كنت من أهله فحصله واعمل به ، ثم علمه وادع إليه ؛ فمن علم ذلك وعمل به ، ثم علمه ودعا إليه ؛ فذلك يدعى عظيما في ملكوت السموات بشهادة عيسى عليه السلام .

فإذا أفرغت من ذلك كله ، وفرغت من إصلاح نفسك ظاهرا وباطنا ، وفضل شيء من أوقاتك ، فلا بأس أن تستغل بعلم المذهب في الفقه ؛ لتعرف به الفروع النادرة في العبادات ، وطريق التوسط بين الخلق في الخصومات عند انكابهم على الشهوات .. فذلك أيضا بعد الفراغ من هذه المهام من جملة فروض الكفايات .

فإن دعتك نفسك إلى ترك ما ذكرناه من الأوراد والأذكار استثقالاً لذلك ، فاعلم أن الشيطان اللعين قد دس في قلبك الداء الدفين ، وهو حب المال والجاه ؛ فإياك أن تغتر به ، ف تكون ضحكة له ، فيهلكك ، ثم يسخر منك .

فإن جربت نفسك مدة في الأوراد والعبادات ، فكانت لاستئصلها كسلا عنها ، لكن ظهرت رغبتك في تحصيل العلم النافع ، ولم ترد به إلا وجه الله تعالى والمدار الآخرة ، فذلك أفضل من نوافل العبادات مهما صحت النية . ولكن الشأن في صحة النية ، فإن لم تصح النية فهو معذن غرور الجهال ، ومزلة أقدام الرجال .

الحالة الثانية : ألا تقدر على تحصيل العلم النافع في الدين ، ولكن تستغل بوظائف العبادات من الذكر والتسبيح والقراءة والصلة ؟

فذلك من درجات العابدين ، وسير الصالحين ، وتكون أيضا بذلك من الفائزين .

**الحالة الثالثة :** أن تستغل بما يصل منه خير إلى المسلمين ، ويدخل به سرور على قلوب المؤمنين ، أو تيسير به الأعمال الصالحة للصالحين : كخدمة الفقاء والصوفية وأهل الدين ، والتردد في أشغالهم ، والسعى في إطعام الفقراء والمساكين ، والتردد مثلا على المرضى بالعيادة ، وعلى الجنازير بالتشييع ؛ فكان ذلك أفضل من النوافل ؛ فإن هذه عبادات ، وفيها رفق للمسلمين .

**الحالة الرابعة :** ألا تقوى على ذلك ، فاشتغل بمحاجاتك اكتسابا على نفسك أو على عيالك ، وقد سلم المسلمون منك وآمنوا من لسانك ويدك ، وسلم لك دينك ، إذا لم ترتكب معصية ؛ فتنا في بذلك درجة أصحاب اليمين ، إن لم تكن من أهل الترق إلى مقامات السابقين .

فهذا أقل الدرجات في مقامات الدين ، وما بعد هذا فهو من مراد الشياطين ؛ وذلك بأن تستغل - والعياذ بالله - بما يهدم دينك ، أو تؤذى به عبدا من عباد الله تعالى ؛ فهذه رتبة الهالكين ؛ فإذاك أن تكون في هذه الطبقة .

واعلم أن العبد في حق دينه على ثلاث درجات :

إما سالم .. وهو المقتصر على إداء الفرائض وترك المعاصي .

أو رابع .. وهو المتطوع بالقربات والنوافل .

أو خاسر .. وهو المقصر عن اللوازم .

فإن لم تقدر أن تكون راجحا ، فاجتهد أن تكون سالما ، وإياك ثم إياك أن تكون خاسرا .

والعبد في حق سائر العباد له ثلاثة درجات :

الأولى : أن ينزل في حقهم منزلة الكرام البررة من الملائكة ، وهو أن يسعى في أغراضهم ؛ رفقاً بهم ، وإدخالاً للسرور على قلوبهم .  
الثانية : أن ينزل في حقهم منزلة البهائم والجمادات ؛ فلا ينالهم خيره ، ولكن يكف عنهم شره .

الثالثة : أن ينزل في حقهم منزلة العقارب والحيّات والسّيّاع الضاريات ، لا يرجى خيره ، ويتقى شره .

فإن لم تقدر على أن تلتحق بأفق الملائكة ، فاحذر أن تنزل عن درجة البهائم والجمادات إلى درجة العقارب والحيّات والسّيّاع الضاريات . فإن رضيت لنفسك التزول من أعلى علينا ، فلا ترض لها من الهوى إلى أسفل سافلين ، فلعلك تنجو كفافاً لا لك ولا عليك .

فعليك في ياض نهارك ألا تستغل إلا بما ينفعك في معدك أو معاشك الذي لا تستغنى عن الاستعانة به على معدك . فإن عجزت عن القيام بحق دينك مع مخالطة الناس ، و كنت لاتسلم ، فالعزلة أولى ، فعليك بها ؛ ففيها النجاة والسلامة . فإن كانت الوساوس في العزلة تجاذبك إلى مالا يرضى الله تعالى ، ولم تقدر على قمعها بوظائف العبادات ؛ فعليك بالنوم ، فهو أحسن أحوالك وأحوالنا إذا عجزنا عن الغنيمة رضينا بالسلامة في الهزيمة . فأحسن بحال من سلامه دينه في تعطيل حياته إذ النوم أخو الموت ، وهو تعطيل الحياة والتحاق بالجمادات .

\* \* \*

## آداب الاستعداد لسائر الصلوات

ينبغي أن تستعد لصلة الظهر قبل الزوال، فتقدم القيلولة<sup>(٧١)</sup> إن كان بك قيام في الليل، أو سهر في الخير؛ فإن فيها معونة على قيام الليل، كما أن في السحور معونة على صيام النهار، والقيلولة من غير قيام بالليل كالسحور من غير صيام بالنهار.

فإذا قلت، فاجتهد أن تستيقظ قبل الزوال، وتنوضأ، وتحضر المسجد، وتصلى تحيَّة المسجد، وتنظر المؤذن فتحجِّبه، ثم تقوم فتصلِّي أربع ركعات عقب الزوال، كان رسول الله ﷺ يطوهن ويقول: «هذا وقت تفتح فيه أبواب السماء، فأحب أن يرفع لي فيه عمل صالح»<sup>(٧٢)</sup>. وهذه الأربع قبل الظهر سنة مؤكدة؛ ففى الخبر: «من صلاهُنَّ، فأحسن رکوعهن وسجودهن، صلى معه سبعون ألف ملك يستغفرون له إلى الليل»<sup>(٧٣)</sup>.

ثم صل الفرض مع الإمام، ثم صل بعد الفرض ركعتين؛ فهما من الرواتب الثابتة<sup>(٧٤)</sup>.

ولاشتغل إلى العصر إلا يتعلم علم أو إعانة مسلم، أو قراءة قرآن، أو سعى في معاش لتستعين به على دينك، ثم صل أربع ركعات قبل

(٧١) القيلولة: هي النوم بالنهار.

(٧٢) رواه أحمد، بسنده ضعيف، عن أبي أيوب الأنباري، نحوه. وهو عند أبي داود وابن ماجه مختصرًا، والترمذى نحوه، من حديث عبد الله بن السائب، وقل: حسن.

(٧٣) ذكره عبد الملك بن حبيب بلاغًا من حديث ابن مسعود.

(٧٤) للحديث الذى رواه الشیخان وغيرهما.

العصر ؛ فهى سنة مؤكدة ؛ فقد قال رسول الله ﷺ : «رحم الله امرأ صلى أربعاً قبل العصر» <sup>(٧٥)</sup> ، فاجتهد أن ينالك دعاؤه ﷺ .

ولاشتغل بعد العصر إلا بمثل مasicق قبلك ، ولا ينبغي أن تكون أوقاتك مهملة فتشتغل في كل وقت بما اتفق كيف اتفق ، بل ينبغي أن تحاسب نفسك وترتب أورادك في ليلك ونهارك ، وتعين لكل وقت شغلاً لاتبعده ، ولا تؤثر فيه سواه ؛ فبذلك تظهر بركة الأوقات . فأما إذا تركت نفسك سدى مهملًا إهمال الباهم ، لا تدرى لماذا تشتغل في كل وقت ، فينقضي أكثر أوقاتك ضائعاً ، وأوقاتك عمرك ، وعمرك رأس مالك ، وعليه تجارتكم ، وبه وصولك إلى نعيم دار الأبد في جوار الله تعالى ؛ فكل نفس من أنفاسك جوهرة لاقية لها ؛ إذ لا بد له ، فإذا فات فلا عود له . فلا تكن كالحمقى المغرورين الذين يفرحون كل يوم بزيادة أموالهم مع نقصان أعمارهم ، فأى خير في مال يزيد عمر ينقص ! ولا تفرح إلا بزيادة علم أو عمل صالح ؛ فإنهما رفيقاك يصحبانك في القبر حيث يتخلّف عنك أهلك ، وممالك ، وولدك ، وأصدقاؤك .

ثم إذا اصفرت الشمس ، فاجتهد أن تعود إلى المسجد قبل الغروب ، وتشتغل بالتسبيح والاستغفار ؛ فإن فضل هذا الوقت كفضل ما قبل الطلوع ، قال الله تعالى : «وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها» <sup>(٧٦)</sup> .

واقرأ قبل غروب الشمس أربع سور من القرآن ، هي : والشمس وضحاها ، والليل إذا يغشى ، والمعوذتين .

(٧٥) رواه أبو داود ، والترمذى ، وأبن حبان ، من حديث ابن عمر . وأعمله ابن القطان .

(٧٦) ط : ١٣٠ .

ولتغرب عليك الشمس وأنت في الاستغفار ، فإذا سمعت الأذان فاجبه ، وقل بعده : اللهم إني أسألك عند إقبال ليلك ، وإدبار نهارك ، وحضور صلاتك ، وأصوات دعاتك : أن تؤتي محمدا الوسيلة - الدعاء كما سبق .

ثم صل الفرض بعد جواب المؤذن والإقامة ، وصل بعده قبل أن تتكلم ركعتين ، فهما راتبنا المغرب<sup>(٧٧)</sup> ، وإن صليت بعدهما أربعاً تطليهن ، فهن أيضاً سنة .

وإن أمكنك أن تنوى الاعتكاف إلى العشاء ، وتحبى ما بين العشاءين بالصلاحة فافعل ، فقد ورد في فضل ذلك مالا يحصى ، وهي ناشئة الليل ؛ لأنها أول نشأة ، وهي صلاة الأوایین ، وسئل رسول الله عليه السلام عن قوله تعالى : ﴿تَجَافِي جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمُضَاجِعِ﴾<sup>(٧٨)</sup> ، فقال : « هي الصلاة ما بين العشاءين ؛ فإنها تذهب بمخالفات النهار »<sup>(٧٩)</sup> ، والمخالفات جمع ملغاً وهي من اللغو .

فإذا دخل وقت العشاء ، فصل أربع ركعات قبل الفرض لإحياء لما بين الأذانيين ، ففضل ذلك كثير ، وفي الخبر : « أن الدعاء بين الأذان والإقامة لا يرد »<sup>(٨٠)</sup> .

---

(٧٧) للحديث الذي رواه الشیخان عن ابن عمر ، ومسلم عن عائشة .

(٧٨) السجدة : ١٦ .

(٧٩) رواه أبو منصور الديلمي في مستند الفردوس ، من رواية إسماعيل بن أبي زياد الشامي ، عن الأعمش ، حدثنا أبو العلاء العنبرى ، عن سلمان مرفوعاً به . وإسماعيل هذا متوكّل بعض الحديث قاله الدارقطنى ، واسم أبي زياد مسلم ، وقد اختلف فيه على الأعمش . ولابن مردويه من حديث أنس : أنها نزلت في الصلاة بين المغرب والعشاء . والحديث عند الترمذى وحسنه بلطف : نزلت في انتظار الصلاة التي تدعى العتمة .

(٨٠) رواه أبو داود ، والترمذى ، والنمساوى ، وابن السنى ، وغيرهم . قال الترمذى : حديث حسن صحيح .

ثم صل الفرض وصل الراتبة ركعتين، واقرأ فيما سورة الم  
السجدة، وتبarak «الملك»، أو سورة يس، والدخان؛ فذلك مأثور  
عن رسول الله ﷺ (٨١).

وصل بعدهما أربع ركعات، ففي الخبر ما يدل على عظم فضلهن.  
ثم صل الوتر بعدها ثلاثة بتسليمتين، أو بتسليمة واحدة. وكان رسول  
الله ﷺ يقرأ فيها سورة سبع اسم ربك الأعلى، وقل يا رب الكافرون،  
والإخلاص والمعوذتين.

فإن كنت عازما على قيام الليل، فأخر الوتر، ليكون آخر صلاتك  
بالليل وترا.

ثم اشتغل بعد ذلك بمذاكرة علم أو مطالعة كتاب، ولا تشتعل  
باللهو واللعب فيكون ذلك خاتمة أعمالك قبل نومك؛ فإنما الأعمال  
بخواتيمها.

\* \* \*

---

(٨١) انظر : تيسير الوصول إلى جامع الأصول ٢ : ٢٧٦ - ٢٧٨، ومحجم الروايد ٢ : ١١٨ - ١١٩، وإحياء ١ : ١٧٦ - ١٧٧.

## آداب النوم

فإذا أردت النوم ، فابسط فراشك مستقبل القبلة ، ونم على يمينك كما يضطجع الميت في لحده .

واعلم أن النوم مثل الموت ، واليقظة مثل البعث ، ولعل الله تعالى يقبض روحك في ليلتك ، فكن مستعدا للقاءه ، بأن تنايم على طهارة ، وتكون وصيتك مكتوبة تحت رأسك ، وتنايم تائبا من الذنوب ، مستغفرا ، عازما على ألا تعود إلى معصية . واعزم على الخير لجميع المسلمين إن بعثك الله تعالى ، وتذكر أنك ستضجع في اللحد كذلك وحيدا فريدا ليس معك إلا عملك ، ولا تجزى إلا بسعيك .

ولاستجلب النوم تكلفا بتمهيد الفرش الوطئية ؛ فإن النوم تعطيل لحياة ، إلا إذا كانت وبالا عليك ؛ فنومك سلامه لدينك .

واعلم أن الليل والنهار أربع وعشرون ساعة ، فلا يكن نومك بالليل والنهار أكثر من ثمان ساعات ، فيفكفيك إن عشت مثلا ستين سنة أن تقضي منها عشرين سنة ، وهو ثلث عمرك .

وأعد عند النوم سواحك وظهورك ، واعزم على قيام الليل ، أو على القيام قبل الصبح ؛ فركعتان في جوف الليل كنز من كنوز البر ؛ فاستكثر من كنوزك ليوم فدرك ، فلن تغنى عنك كنوز الدنيا إذا مت .

وقل عند نومك : باسمك ربى وضعت جنبي وباسمك أرفعه ، فاغفر لي ذنبي ؛ اللهم قن عذابك يوم تبعث عبادك ، اللهم باسمك أحيا

وأموت ؟ أعود بك اللهم من شر كل ذى شر ، ومن شر كل دابة أنت  
آخذ بناصيتها ، إن ربي على صراط مستقيم ؛ اللهم أنت الأول فليس  
قبلك شيء ، وأنت الآخر فليس بعده شيء ، وأنت الظاهر فليس  
فوقك شيء ، وأنت الباطن فليس دونك شيء ، اقض عنى الدين ،  
وأغتنى من الفقر ؛ اللهم أنت خلقت نفسى وأنت توفاها ، لك مماتها  
ومحياها ، إن أمتها فاغفر لها ، وإن أحيتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك  
الصالحين ؛ اللهم إني أسألك العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة ؛  
اللهم أيقظنى في أحب الساعات إليك ، واستعملنى بأحب الأعمال  
إليك ، لتقربنى إليك زلفى ، وتبعدنى عن سخطك بعدها ، أسألك  
فتعطينى ، وأستغرك فتغفر لي ، وأدعوك فتستجيب لي .

ثم أقرأ آية الكرسي ، وآمن الرسول إلى آخر السورة ، والأخلاق ،  
والمعوذتين ، وتبارك الملك .

ويأخذك النوم وأنت على ذكر الله وعلى الطهارة .

فمن فعل ذلك عرج بروحه إلى العرش ، وكتب مصلحته إلى أن  
يستيقظ .

إذا استيقظت ، فارجع إلى ما عرفتك أولاً ، وداوم على هذا الترتيب  
بقية عمرك . فإن شقت عليك المداومة ، فاصبر صبر المريض على  
مرارة الدواء انتظارا للشفاء ، وتفكر في قصر عمرك ، وإن عشت مثلا  
مائة سنة فهى قليلة بالإضافة إلى مقامك في الدار الآخرة وهى أبد  
الآباد ، وتأمل أنك كيف تحمل المشقة والذل في طلب الدنيا شهرا أو  
سنة رجاء أن تستريح بها عشرين سنة مثلا ، فكيف لا تحمل ذلك أياما  
قلائل رجاء الاستراحة أبد الآباد ! ولا تطول أمملك فيثقل عليك  
عملك ، وقد قرب الموت ، وقل في نفسك : إني أتحمل المشقة اليوم

فلعلى أموت الليلة ، وأصبر الليلة فلعلى أموت غدا ؛ فإن الموت لا يهجم  
في وقت مخصوص ، وحال مخصوص ، فلا بد من هجومه ؛ فالاستعداد  
له أولى من الاستعداد للدنيا ، وأنت تعلم أنك لاتبقى فيها إلا مدة  
يسيرة ، ولعله لم يبق من أجلك إلا يوم واحد ، أو نفس واحد ؛ فقدر  
هذا في قلبك كل يوم ، وكيف نفسك الصبر على طاعة الله يوما فيوما ،  
فإنك لو قدرت البقاء خمسين سنة ، وألزمتها الصبر على طاعة الله تعالى  
نفرت واستعصت عليك . فإن فعلت ذلك فرحت عند الموت فرحا لا  
آخر له . وإن سوفت وتساهلت جاءتك الموت في وقت لا تخسيبه ،  
وتحسرت تحسرا لا آخر له ، وعند الصباح يحمد القوم السرى ، وعند  
الموت يأتيك الخبر اليقين ، ولتعلم نبأه بعد حين .

وإذا أرشدناك إلى ترتيب الأوراد ، فلنذكر لك كيفية الصلاة  
والصوم وأدابهما ، وأداب الإمامة والقلوة وال الجمعة .

\* \* \*

## آداب الصلاة

فإذا فرغت من طهارة الحدث ، وطهارة الخبث ، في البدن ، والثياب ، والمكان ؛ ومن ستر العورة من السرة إلى الركبة .. فاستقبل القبلة قائما مزاوجا بين قدميك لاتضمهما ، واستو قائما ، واقرأ ﴿**قل أعوذ برب الناس**﴾ ، تحصننا بها من الشيطان الرجيم .

وأحضر قلبك ما أنت فيه ، وفرغه من الوسوس ، وانظر بين يدي من تقوم ، ومن تناجي ، واستع أن تناجي مولاك بقلب غافل ، وصدر مشحون بوسوس الدنيا وخبائث الشهوات .

واعلم أنه تعالى مطلع على سريرتك ونظر إلى قلبك ، فإنما يتقبل الله من صلاتك بقدر خشوعك وحضورك وتواضعك وتضرعك ، وأعبده في صلاتك كأنك تراه ؛ فإن لم تكن تراه فإنه يراك .

فإن لم يحضر قلبك ولم تسكن جوارحك لقصور معرفتك بجلال الله تعالى ، فقدر أن رجلا صالحا من وجوه أهل بيتك ينظر إليك لعلم كيف صلاتك ، فعند ذلك يحضر قلبك وتسكن جوارحك ، ثم ارجع إلى نفسك وقل : يانفس السوء ألا تستحيين من خالقك ومولاك ، إذ قدرت اطلاع عبد ذليل من عباده عليك ، وليس بيده ضرك ولا نفعك خشعت جوارحك وحسنت صلاتك ، ثم إنك تعلمين أنه مطلع عليك ، ولا تخشعين لعظمته ، أهو - تعالى - عندك أقل من عباده ؟ ! فما أشد طغيانك وجهمك ! وما أعظم عداوتك لنفسك !

وعالج قلبك بهذه الحيل فعسى أن يحضر معك في صلاتك ؛ فإنه ليس لك من صلاتك إلا ما عقلت منها ، وأما ما أتيت مع الغفلة والجهل فهو إلى الاستغفار والتکفير أحوج .

فإذا حضر قلبك ، فلا ترك الإقامة ، وإن كنت وحدك . وإن انتظرت حضور جماعة ، فأذن ، ثم أقم .

فإذا أقمت فانو وقل في قلبك : أؤدي فرض الظهر لله تعالى ، ول يكن ذلك حاضرا في قلبك عند تكبيرك . ولا تغرب عنك النية قبل الفراغ من التكبير ، وارفع يديك عند التكبير – بعد إرسالهما أولا – إلى حذو منكبيك وهم مبسوطان ، وأصابعهما منشورة ، ولا تتكلف ضمهما ولا تفرجهما ، بحيث تحاذى بهما يديك شحمتي أذنيك ، وبكيفك منكبيك ، فإذا استقرتا في مقرهما فكب ، ثم أرسلهما برفق . ولا تدفع يديك عند الرفع والإرسال إلى قدام دفعا ، ولا إلى خلف رفعا ، ولا تفضهما يمينا ولا شملا . فإذا أرسلتهما فاستأنف رفعهما إلى صدرك ، وأكرم اليمني بوضعها على اليسرى ، وانشر أصابع اليمنى على طول ذراعك اليسرى ، واقبض بها على كوعها .

وقل بعد التكبير : الله أكبر كثيرا ، والحمد لله كثيرا ، وسبحان الله بكرة وأصيلا ، ثم أقرأ : وجهت وجهي للذى فطر السموات والأرض حينما مسلما وما أنا من المشركين ، إن صلاتي ونسكي ومحبى وعماى الله رب العالمين لأشريك له وبذلك أمرت وأنا من المسلمين . ثم قل : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، ثم أقرأ الفاتحة بشديداها ، واجتهد في الفرق بين الصاد والظاء في قراءتك في الصلاة ، وقل آمين ، ولا تصله بقولك : ولا الضالين – وصلا .

واجهر بالقراءة في الصبح والمغرب والعشاء، أعني في الركعتين الأولىن إلا أن تكون مأموماً، واقرأ في الصبح بعد الفاتحة من السور الطوال من المفصل، وفي المغرب من قصاره، وفي الظهر والعصر والعشاء من أوساطه، نحو : ﴿وَالسَّمَاءُ ذَاتُ الْبَرْوَج﴾ وماقاربها من سور، وفي الصبح في السفر : ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾، و﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ . ولا تصل آخر السورة بتكبيرة الركوع، ولكن افضل بينهما بقدر سبحان الله .

وكن في جميع قيامك مطرقاً، قاصراً نظرك على مصلاك؛ فذلك أجمع همك، وأجدر لحضور قلبك، وإياك أن تلتفت يميناً وشمالاً في صلاتك .

ثم كبر للركوع وارفع يديك كما سبق، ومد التكبير إلى انتهاء الركوع، ثم ضع راحتيك على ركبتيك وأصابعك منشورة، وانصب ركبتيك، ومد ظهرك وعنقك ورأسك مستويَا كالصحيفة الواحدة، وجاف مرفقيك عن جنبيك<sup>(٨٢)</sup>، والمرأة لاتفعل ذلك، بل تضم بعضها إلى بعض، وقل : سبحان رب العظيم - ثلاثاً . وإن كنت منفرداً، فالزيادة إلى سبع وعشرين حسن .

ثم ارفع رأسك حتى تعتدل قائمًا، وارفع يديك قائلاً : سمع الله من حمده، فإذا استويت قائمًا فقل : ربنا لك الحمد ملء السموات وملء الأرض وملء ماشئت من شيء بعد . وإن كنت في فريضة الحج فأقرأ القنوت في الركعة الثانية، في اعتدالك من الركوع .

ثم اسجد مكيراً غير رافع اليدين، وضع أولاً على الأرض ركبتيك، ثم يديك، ثم جهتك مكسوفة، وضع أنفك مع الجبهة، وجاف

---

(٨٢) أي باعد ذراعيك عن جنبيك .

مرفقيك عن جنبيك ، وأقل بطنك عن فخذيك ، والمرأة لاتفعل ذلك ، وضع يديك على الأرض حذو منكبيك ، ولا نفرش ذراعيك على الأرض ، وقل : سبحان رب الأعلى - ثلاثاً أو سبعاً أو عشراً ، إن كنت منفرداً .

ثم ارفع رأسك من السجود مكبراً حتى تعدل جالساً ، واجلس على رجلك اليسرى ، وانصب قدمك اليمنى ، وضع يديك على فخذيك ، والأصابع منشورة ، وقل : رب اغفر لي ، وارحمني ، وازرقني ، واهدى ، واجبرني<sup>(٨٣)</sup> واعفني واعف عنى .

ثم اسجد سجدة ثانية كذلك ..

ثم اعتدل جالساً للراحة في كل ركعة لتشهد عقبها ، ثم تقوم وتضع اليدين على الأرض ، ولا تقدم إحدى رجليك في حال الارتفاع ، وابتدئ بتكبيرة الارتفاع عند القرب من حد جلسة الراحة ، ومدّها إلى انتصاف ارتفاعك إلى قيامك ، ولتكن هذه الجلسة جلسة خفيفة مختطفة .

وصل الركعة الثانية كالأولى ، وأعد التعوذ في الابداء ، ثم اجلس في الركعة الثانية للتشهد الأول ، ووضع اليد اليمنى في جلوس التشهد الأول على الفخذ اليمنى مقبوضة الأصابع إلا المسبيحة والإبهام فترسلها ، وانشر مسبحة يمناك عند قولك : «إلا الله» لا عند قولك : «لا إله» . وضع اليد اليسرى منشورة الأصابع على الفخذ اليسرى ، واجلس على رجلك اليسرى في هذا التشهد كما بين السجدين ، وفي التشهد الأخير متوركاً . واستكمل الدعاء المعروف المأثور بعد الصلاة على النبى

---

(٨٣) اجرني : أى أقولى من عرقان ومن كل غلبة نطرأ على ،

عليه <sup>صَلَوةُ اللَّهِ</sup> (٨٤) . واجلس فيه على وركك الأيسر، وضع رجلك اليسرى خارجة من تحتك، وانصب القدم اليمنى، ثم قل بعد الفراغ : السلام عليكم ورحمة الله - مرتين ، من الجانبين ، والتفت بحيث يرى بياض خدك من جانبيك ، وانو الخروج من الصلاة ، وانو السلام على من بجانبك من الملائكة وال المسلمين .

وهذه هيئة صلاة المنفرد ..

وعماد الصلاة الخشوع ، وحضور القلب مع القراءة والذكر  
بالتفهم .

قال الحسن البصري <sup>(٨٥)</sup> - رحمة الله تعالى : كل صلاة لا يحضر فيها القلب فهي إلى العقوبة أسرع .

وقال رسول الله <sup>صَلَوةُ اللَّهِ</sup> : « إن العبد ليصلِي الصلاة فلا يكتب له منها سدسها ولا عشرها ، وإنما يكتب للعبد من صلاته بقدر ما عقل منها » <sup>(٨٦)</sup> .

\* \* \*

---

(٨٤) روى البخاري ومسلم ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله <sup>صَلَوةُ اللَّهِ</sup> : « إذا فرغ أحدكم من الشهد الأخير فليتعوذ بالله من أربع : من عذاب جهنم ، ومن عذاب التبر ، ومن لعنة الطير والحيات ، ومن شر المسيح الدجال » .

وروى مسلم في صحيحه ، عن علي رضي الله عنه ، قال : كان رسول الله <sup>صَلَوةُ اللَّهِ</sup> إذا قام إلى الصلاة يكون من آخر ما يقول بين الشهد والتسليم : « اللهم اغفر لي ما قدمت ، وما أخترت ، وما أسررت ، وما أعلنت . وما أسرفت ، وما نأت أعلم به مني ؛ أنت القدوم ، وأنت المؤخر لا إله إلا الله أنت » .

(٨٥) الحسن بن بسar البصري ، أبو سعيد : ٢١ - ٦٤٢ هـ ١١٠ - ٦٤٢ - ٢٢٧ م ) تابعي ، كان إمام أهل البصرة ، وحر الأمة في زمانه . وهو أحد العلماء الفقهاء الفصحاء الشجعان النساك . قال الغزالى : كان الحسن البصري أشبه الناس كلاماً بكلام الأنبياء ، وأقربهم هدياً من الصحابة .

الأعلام ٢ : ٢٢٦ - ٢٢٧ ، وميزان الاعتدال ١ : ٢٥٤ ، وحلية الأولياء ٢ : ٢٣١ ، وذيل المذيل ٩٣ ، وأمال المرتضى ١ : ١٠٦ .

(٨٦) رواه أبو داود ، والنسائي ، وابن حبان ؛ من حديث عمار بن ياسر ، بتحوه .

## آداب الإمامة والقدوة

ينبغي للإمام أن يخفف الصلاة، قال أنس بن مالك رضي الله عنه :  
ما صلحت خلف أحد صلاة أخف ولا أتم من صلاة رسول الله  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَاٰلِهِ وَسَلَّمَ (٨٧)

ولايكر مالم يفرغ المؤذن من الإقامة ، ومالم تستو الصنوف ، ويرفع الإمام صوته بالتكبيرات ، ولايرفع المأمور صوته إلا بقدر مايسمع نفسه ، وينوى الإمام الإمامة لينال الفضل ، فإذا لم ينو صحت صلاة القوم إذا نروا الاقداء به ، ونالوا فضل القدوة .

ويسر الإمام بدعاء الاستفتاح والتعوذ كالمفرد ، ويجهر بالفاتحة والسورة في جميع الصبح ، وأولئك المغرب والعشاء ، وكذلك المفرد ، ويجهر بقوله : «آمين» في الجهرية ، وكذلك المأمور ، ويقرن المأمور تأميمه بتأميم الإمام معا تعقيبا له ، ويستكث الإمام سكتة عقب الفاتحة ليثوب إليه نفسه ، ويقرأ المأمور الفاتحة في الجهرية في هذه السكتة ، ليتمكن من الاستماع عند قراءة الإمام ، ولايقرأ المأمور السورة في الجهرية إلا إذا لم يسمع صوت الإمام .

ولايزيد الإمام على ثلات في تسبيحات الركوع والسجود ، ولايزيد في التشهد الأول بعد قوله : «اللهم صل على محمد» ، ويقتصر في الركعتين الأخيرتين على الفاتحة ، ولايطول على القوم ، ولايزيد دعاؤه في التشهد الأخير على قدر تشهاده وصلاته على رسول الله

(٨٧) متفق عليه .

عليه السلام ، وبنوى الإمام عند التسليم السلام على القوم ، وبنوى القوم بتسليمهم جوابه .

ويلبث الإمام ساعة<sup>(٨٨)</sup> بعد ما يفرغ من السلام ويقبل على الناس بوجهه ، ولا يلتفت إن كان خلفه نساء حتى ينصرفن أولاً .

ولايقوم أحد من القوم حتى يقوم الإمام . وينصرف الإمام حيث شاء عن يمينه أو شماله ، واليمين أحب إلى .

ولا يخص الإمام نفسه بالدعاء في قنوت الصبح ، بل يقول : «اللهم اهدنا» ، ويجهر به ، ويؤمن القوم ولايرفعون أيديهم ، إذ لم يثبت ذلك في الأخبار ، ويقرأ المأمور بقية القنوت من قوله : «إنك تقضي ولا يقضى عليك» .

ولايقف المأمور وحده ، بل يدخل في الصف ، أو يجر إلى نفسه غيره ، ولا ينبغي للمأمور أن يتقدم على الإمام في أفعاله أو يساويه ، بل ينبغي أن يتأخر عنه ، ولا يهوي للركوع إلا إذا انتهى الإمام إلى حد الركوع ، ولا يهوي للسجود مالم تصل جهة الإمام إلى الأرض .

\* \* \*

---

(٨٨) المراد قليلاً .

## آداب الجمعة

اعلم أن الجمعة عيد المؤمنين ، وهو يوم شريف خص الله عز وجل به هذه الأمة ، وفيه ساعة مبهمة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله تعالى فيها حاجة إلا أعطاه إياها .

فاستعد لها من يوم الخميس ؛ بتنظيف الثياب ، وبكثرة التسبيح والاستغفار عشية الخميس ؛ فإنها ساعة توازى في الفضل ساعة يوم الجمعة .

وانو صوم يوم الجمعة ، لكن مع الخميس أو السبت ؛ إذ جاء في إفراده نهى<sup>(٨٩)</sup> .

فإذا طلع عليك الصبح ، فاغتسل ؛ فإن «غسل الجمعة واجب على كل محتمل»<sup>(٩٠)</sup> ، أي ثابت مؤكدة . ثم تربين بالثياب البيض ؛ فإنها أحب الثياب إلى الله تعالى ، واستعمل من الطيب أطيب ما عندك ، وبالغ في تنظيف بدنك بالحلق والقص والتقطيم والسواك وسائر أنواع النظافة وتطيب الرائحة .

ثم بكر إلى الجامع ، واسع إليها على اهنية والسكنية ، فقد قال عليهما عليهما : «من راح إلى الجمعة في الساعة الأولى فكأنما قرب بدنك ، ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة ، ومن راح في الساعة

(٨٩) روى الترمذاني . من حديث جابر : أن النبي عليهما السلام قال : «لاتصوموا يوم الجمعة إلا وقبله يوم أو بعده يوم» .

(٩٠) متفق عليه . من حديث أبي سعيد .

الثالثة فكأنما قرب كبشا أقرن ، ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة ، ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما قرب بيبة . فإذا خرج الإمام ، طويت الصحف ، ورفعت الأقلام ، واجتمعت الملائكة عند المنبر يستمعون الذكر »<sup>(٩١)</sup> . ويقال إن الناس في قربهم عند النظر إلى وجه الله تعالى على قدر بكورهم إلى الجمعة .

ثم إذا دخلت الجامع ، فاطلب الصف الأول ، فإذا اجتمع الناس فلا تخطط رقابهم ، ولا تمر بين أيديهم وهم يصلون ، واجلس بقرب حائط أو اسطوانة حتى لا يمروا بين يديك ، ولا تقعده حتى تصل التحية ، والأحسن أن تصلي أربع ركعات ، تقرأ في كل ركعة بعد الفاتحة الأخلاص خمسين مرة ، ففي الخبر : «أن من فعل ذلك لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة أو يرى له»<sup>(٩٢)</sup> . ولا تترك التحية وإن كان الإمام يخطب .

ويستحب في هذا اليوم أو في ليلته أن يصلى أربع ركعات بأربع سور : سورة الأنعام ، والكهف ، وطه ، ويس ؛ فإن لم تقدر فسورة يس والدخان ، «ولم» السجدة ، وسورة الملك . ولا تدع قراءة هذه السورة ليلة الجمعة ؛ ففيها فضل كثير . ومن لم يحسن ذلك فليكتثر من قراءة سورة الأخلاص . وأكثر من الصلاة على رسول الله ﷺ في هذا اليوم خاصة .

ومتى خرج الإمام ، فاقطع الصلاة والكلام ، واشتغل بمحواب المؤذن ، ثم استئذن الخطبة والاعتزاز بها ، ودع الكلام رأساً في الخطبة ؛ ففي الخبر : «إن من قال لصاحبه - والإمام يخطب - أنصت ، أو

(٩١) متفق عليه ، من حديث أبي هريرة ، وليس فيه : «... ورفعت الأقلام» ، وهذه اللحظة عند السيفي ، من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن حده .

(٩٢) رواه الخطيب في الرواية عن مالك ، من حديث ابن عمر . وقال : غريب جداً .

صَهْ ؟ فَقَدْ لَغَا ، وَمِنْ لَغَا فَلَا جَمْعَةَ لَهُ<sup>(٩٣)</sup> ، أَى لَأْنَ قَوْلَهُ أَنْصَتْ :  
كَلَامٌ ، فَيَبْغِي أَنْ يَنْهَى غَيْرَهُ بِالإِشَارَةِ لَا بِالْمَفْظُوْتِ .

ثُمَّ اقْتَدَ بِالإِلَمَامِ كَمَا سَبَقَ . إِذَا فَرَغْتَ وَسَلَّمْتَ ، فَاقْرَأْ الْفَاتِحَةَ قَبْلَ أَنْ  
تَتَكَلَّمَ سَبْعَ مَرَاتٍ ، وَالْإِخْلَاصَ سَبْعَا ، وَالْمَعْوذَتَيْنِ سَبْعَا سَبْعَا ؛ فَذَلِكَ  
يَعْصِمُكَ مِنَ الْجَمْعَةِ الْأُخْرَى ، وَيَكُونُ حَرْزاً لَكَ مِنَ الشَّيْطَانِ . وَقَلَّ  
بَعْدَ ذَلِكَ : يَا غَنِيَّ ، يَا حَمِيدَ ، يَا مَبْدِيَ ، يَا مَعِيدَ ، يَا رَحِيمَ ، يَا دَوْدَ ؛ أَغْنِيَ  
بِحَلَالِكَ عَنْ حَرَامِكَ ، وَبِطَاعَتِكَ عَنْ مَعْصِيَتِكَ ، وَبِفَضْلِكَ عَمِنْ  
سُواكَ .

ثُمَّ صَلَّى بَعْدَ الْجَمْعَةِ رَكْعَتَيْنِ أَوْ أَرْبَعَتَيْنِ أَوْ سَتَّا ، مَشَّى مَشَّى ، فَكَلَّ  
ذَلِكَ مَرْوِيًّا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَحْوَالِ مُخْتَلَفَةٍ<sup>(٩٤)</sup> .

ثُمَّ لَازَمَ الْمَسْجِدَ إِلَى الْمَغْرِبِ أَوْ إِلَى الْعَصْرِ ، وَكَانَ حَسَنُ الْمَرَاقِبَةِ  
لِلْمَسَاعِيَةِ ؛ فَإِنَّهَا مَهِمَّةٌ فِي جَمِيعِ الْيَوْمِ ، فَعُسَّاكَ أَنْ تَدْرِكَهَا وَأَنْتَ  
خَاشِعٌ لِلَّهِ تَعَالَى مُتَذَلِّلٌ مُتَضَرِّعٌ .

وَلَا تَخْضُرَ فِي الْجَامِعِ مَجَالِسَ الْحَلْقَ<sup>(٩٥)</sup> ، وَلَا مَجَالِسَ الْقَصَاصَ ، بل  
مَجَالِسُ الْعِلْمِ النَّافِعِ ، وَهُوَ الَّذِي يَزِيدُ فِي خَوْفِكَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى ، وَيَنْقُصُ  
مِنْ رَغْبَتِكَ فِي الدُّنْيَا ؛ فَكُلُّ عِلْمٍ لَا يَدْعُوكَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَى الْآخِرَةِ ،  
فَالْجَهَلُ أَعُودُ عَلَيْكَ مِنْهُ ؛ فَاسْتَعِذُ بِاللَّهِ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ .

(٩٣) رواه الترمذى، والنسائى؛ عن أى هريرة، دون قوله: «وَمِنْ لَغَا فَلَا جَمْعَةَ لَهُ»، قال الترمذى: حديث حسن صحيح. وهو في الصحيحين بلفظ: «إِذَا قَلْتَ لِصَاحِبِكَ»، وسنن أبي داود من حديث علي: «مَنْ قَالَ: صَهْ ؟ فَقَدْ لَغَا، وَمِنْ لَغَا فَلَا جَمْعَةَ لَهُ».

(٩٤) روى ابن عمر: أنه عليه السلام كان يصل بعد الجمعة ركعتين. متفق عليه. وروى أبو هريرة أربعاً. رواه مسلم.

وروى علي ستة. رواه البيهقي. وأخرجه أبو داود عن ابن عمر.

(٩٥) أى حلقات القراءة الجماعية.

وأكثر الدعاء عند طلوع الشمس . وعند الزوال ، وعند الغروب ،  
وعند الإقامة ، وعند صعود الخصيف أمنبر ، وعند قيام الناس إلى  
الصلاه ، فيوشك أن يكون الساعة الشريفة في بعض هذه الأوقات .

واجتهد أن تتصدق في هذا اليوم بما تقدر عليه وإن قل ، فتجمع بين  
الصلاه والصوم والصدقة القراءة والذكر والاعتكاف والرباط<sup>(٢)</sup> .

واجعل هذا اليوم من الأسبوع خاصة لآخرتك : فمسأله أن يكون  
كفارة لبقية الأسبوع .

## آداب الصيام

لайнبيى أن تقتصر على صوم شهر رمضان فترك التجارة بالنواقل ، وكسب الدرجات العالية في الفرداديس ؛ فتحسر إذا نظرت إلى منازل الصائمين ، كما تنظر إلى الكواكب الدرية ، وهم في أعلى علينا .

والأيام الفاضلة التي شهدت الأخبار بشرفها وفضليها ، وبجزالة الشواب في صيامها : يوم عرفة لغير الحاج<sup>(٩٧)</sup> ، ويوم عاشوراء<sup>(٩٨)</sup> ، والعشر الأول من ذى الحجة<sup>(٩٩)</sup> ، والعشر الأول من المحرم<sup>(١٠٠)</sup> ، ورجب<sup>(١٠١)</sup> ، وشعبان<sup>(١٠٢)</sup> ، وصوم الأشهر الحرم من الفضائل ، وهي

---

(٩٧) للحديث الذى رواه الجماعة إلا البخارى والترمذى : «صوم يوم عرفة يكفر سنتين ماضية، ومستقبلة . وصوم يوم عاشوراء يكفر سنة ماضية» . وروى النسائى وغيره عن أبي هريرة قال : نهى رسول الله ﷺ عن صوم يوم عرفة بعرفات .

(٩٨) انظر الخامسة السابق .

(٩٩) للحديث الذى رواه أحمد والنمسائى ، عن حفصة قالت : أربع لم يكن يدعهن رسول الله ﷺ : صيام عاشوراء ، والعشر (أى من ذى الحجة) ، وتلاتة أيام من كل شهر ، والركعتين قبل العادة .

(١٠٠) روى أحمد ، ومسلم ، وأبو داود ، عن أبي هريرة قال : سئل رسول الله ﷺ : أى الصلاة أفضل بعد المكتوبة ؟ قال : «الصلاה في جوف الليل» ، قيل : ثم أى الصيام أفضل بعد رمضان ؟ قال : «شهر الله الذى تدعونه الحرم» .

(١٠١) لم يرد في السنة الصحيحة أن للصيام فضيلة خصوص رجب ، وما جاء في ذلك مما لا ينبع للاحتجاج به . قال ابن حجر : لم يرد في فضله ، ولا في صيامه ، ولا في صيام شيء منه معين ، ولا في قيام ليلة مخصوصة منه - حديث صحيح يصلح للحجـة .

(١٠٢) كان رسول الله ﷺ يصوم أكثر شعبان - كما جاء في الحديث الذى رواه الشيخان عن عائشة . وقال أسماء بن زيد رضى الله عنهما : قلت يارسول الله ، لم أرك تصوم من شهر من الشهور ماتصوم من شعبان ؟ قال : «ذلك شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان ، وهو شهر ترفع فيه الأعمال إلى رب العالمين ؛ فأحب أن يرفع عمل وأنا صائم» ، رواه أبو داود ، والنمسائى ، وصححه ابن حزمية .

ذو القعدة وذو الحجة والحرم ورجب<sup>(١٠٣)</sup>، واحد فرد وثلاثة سرداً، وهذه في السنة . وأما في الشهر فأول الشهر وأوسطه وأخره<sup>(١٠٤)</sup>، والأيام البيض وهي الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر<sup>(١٠٥)</sup>، وأما في الأسبوع في يوم الاثنين والخميس والجمعة<sup>(١٠٦)</sup>؛ فتکفر ذنوب الأسبوع بصوم الاثنين والخميس والجمعة، وتکفر ذنوب الشهر باليوم الأول واليوم الأوسط واليوم الآخر والأيام البيض، وتکفر ذنوب السنة بصيام هذه الأيام والأشهر المذكورة .

ولاتظن إذا صمت أن الصوم هو ترك الطعام والشراب والواقع فقط ؛ فقد قال عليه السلام : « كم من صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش »<sup>(١٠٧)</sup>، بل تمام الصوم بكف الجوارح كلها عما يكرهه الله تعالى ، بل ينبغي أن تحفظ العين عن النظر إلى المكاره ، واللسان عن النطق بما لا يعنيك ، والأذن عن الاستماع إلى ما حرمته الله ؛ فإن المستمع شريك القائل وهو أحد المغتابين ، وكذلك تکف جميع الجوارح كما تکف البطن والفرج ؛ ففى الخبر : « خمس يفطرن الصائم : الكذب ، والغيبة ، والنميمة ، واليمين الكاذبة ، والنظر بشهوة »<sup>(١٠٨)</sup>، وقال عليه السلام :

(١٠٣) للحديث الذى رواه أحمد ، وأبو داود ، وابن ماجه ، والبيقى ؛ بسنده جيد .

(١٠٤) عن معاذة العدويه : أنها سالت عائشة : أكان رسول الله عليه السلام بصوم من كل شهر ثلاثة أيام ؟ قالت : نعم ، فقلت : من أي الشهر كان بصوم ؟ قالت : لم يكن يبال من أي الشهر بصوم . رواه مسلم . وفي هذا معارضته لخصيص أوله وأوسطه وأخره بالصوم .

(١٠٥) عن ثقادة بن ملحان رضى الله عنه قال : كان رسول الله عليه السلام يأمرنا بصيام الأيام البيض : ثلاثة عشرة ، وأربع عشرة ، وخمس عشرة . رواه أبو داود .

(١٠٦) عن أبي هريرة : أن النبي عليه السلام كان أكثر ماصوم الاثنين والخميس . فقيل له : فقال : « إن الأعمال تمرص كل اثنين وخميس ، تیغفر الله لكل مسلم ، أو لكل مؤمن ، إلا المتهاجرين ؛ فعنول : آخرها . رواه أبو عبد بسنده صحيح .

(١٠٧) رواه السنان . وابن ماجه ؛ من حديث أبي هريرة .

(١٠٨) رواه الأزدي في المصنف ، من روایة جابر بن عبد الله .

«إِنَّ الصُّومَ جُنَاحٌ<sup>(١٠٩)</sup>، فَإِذَا<sup>١٠٩</sup> أَحَدُكُمْ صَائِمًا فَلَا يَرْفَثُ<sup>(١١٠)</sup>، وَلَا يَفْسُقُ، وَلَا يَجْهَلُ؛ فَإِنَّ امْرَأَ قَاتِلَهُ أَوْ شَاهِهَ فَلنَقلُ : إِنَّ صَامِمٍ»<sup>(١١١)</sup>.

ثم اجتهد أن تفطر على طعام حلال ، ولاستكثر فتزيد على ماتأكله كل ليلة ، فلا فرق إذا استوفيت ماتعتقد أن تأكله دفتين في دفعة واحدة ، وإنما المقصود بالصيام كسر شهوتك ، وتضييف قوتك لتقوى بها على التقوى . فإذا أكلت عشية ماتداركت به مافاتتك ضحوة ، فلا فائدة في صومك ، وقد ثقلت عليك معدتك ، وماوعاء يملاً بغض إلى الله تعالى من حلال ، فكيف إذا ملء من حرام !

إذا عرفت معنى الصوم فاستكثر منه ما استطعت ؛ فإنه أساس العبادات ، ومفتاح القربات ؛ قال رسول الله ﷺ : «قال الله تعالى : كل حسنة بعشر أمثالها إلى سبعين ألف ضعف إلا الصوم ، فإنه لي وأنا أجزى به»<sup>(١١٢)</sup> ، وقال ﷺ : «والذى نفسي بيده خلوف»<sup>(١١٣)</sup> فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك ، يقول الله تعالى عز من قائل : إنما يذر شهوته وطعامه وشرابه من أجله ، فالصوم لي وأنا أجزى به»<sup>(١١٤)</sup> ، وقال ﷺ : «للجنة باب له الريان ، لا يدخله إلا الصائمون»<sup>(١١٥)</sup> .

فهذا القدر من شرح الطاعات يكفيك من بداية الهدایة ، فإذا احتجت إلى الزكاة ، والحج ، أو إلى مزيد شرح الصلاة والصيام ، فاطلب مما أوردناه في كتابنا «إحياء علوم الدين» .

(١٠٩) جنة بضم الجيم : أى وقاية من العاصي ومن جهنم .

(١١٠) لايرث : الرث الجماع والفحش .

(١١١) أخرجه الشیخان ، من حدیث أنس .

(١١٢) أخرجه الشیخان ، من حدیث أئی هریرة .

(١١٣) خلوف بضم الخاء واللام : رائحة فم الصائم .

(١١٤) أخرجه الشیخان ، من حدیث أئی هریرة . وهو بعض الذی قبله .

(١١٥) أخرجه الشیخان ، من حدیث سهل بن سعد .



## القسم الثاني

# القول في اجتناب المعاishi

•  
توطئة  
آداب العين  
آداب الأذن  
آداب اللسان  
آداب البطن  
آداب الفرج  
آداب اليدين  
آداب الرجلين  
معاishi القلب



## توطئة

اعلم أن للدين شطرين، أحدهما : ترك المناهى، والآخر : فعل الطاعات .. وترك المناهى هو الأشد؛ فإن الطاعات يقدر عليها كل واحد، وترك الشهوات لا يقدر عليه إلا الصديقون، فلذلك قال رسول الله ﷺ : «المهاجر من هجر السوء، والمجاهد من جاهد هواه»<sup>(١١٦)</sup>.

واعلم أنك إنما تعصى الله بجوارحك، وهي نعمة من الله عليك وأمانة لديك، فاستعن بك بنعمة الله على معصيتك غاية الكفران، وخيانتك في أمانة استودعها الله غاية الطغيان؛ فأعضاؤك رعاياك، فانظر كيف ترعاها؛ فكلكم راع، وكلكم مسئول عن رعيته.

واعلم أن جميع أعضائك ستشهد عليك في عرصات<sup>(١١٧)</sup> القيامة بلسان طلق ذلت<sup>(١١٨)</sup>، تفضحك به على رءوس الخلائق، قال الله تعالى : ﴿هُوَ يَوْمٌ تُشَهِّدُ عَلَيْهِمْ أَسْنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾<sup>(١١٩)</sup>، وقال الله تعالى : ﴿هُوَ الْيَوْمُ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتَكَلَّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتُشَهِّدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾<sup>(١٢٠)</sup>.

(١١٦) رواه أحمد.

(١١٧) عرصات : ساحات.

(١١٨) أى فضيع بلين.

(١١٩) التور : ٢٤.

(١٢٠) بس : ٦٥.

فاحفظ يامسكن جميع بدنك من العاصي ، وخصوصاً أعضاءك السبعة ؛ فإن جهنم لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسم ، ولا يتعين لتلك الأبواب إلا من عصى الله تعالى بهذه الأعضاء السبعة ، وهي : العين ، والأذن ، واللسان ، والبطن ، والفرج ، واليد ، والرجل .

## آداب العين

أما العين : فإنما خلقت لك لتهدي بها في الظلمات ، وتستعين بها في الحاجات ، وتنظر بها إلى عجائب ملوك الأرض والسموات ، وتعتبر بما فيها من الآيات ؛ فاحفظها عن أربع : أن تنظر بها إلى غير حرم ، أو إلى صورة مليحة ولا بشهوة نفس ، أو تنظر بها إلى مسلم بعين الاحتقار ، أو تطلع بها على عيب مسلم .

## آداب الأذن

وأما الأذن : فاحفظها عن أن تصفعها إلى البدعة ، أو الغيبة ، أو الفحش ، أو الخوض في الباطل ، أو ذكر مساوى الناس ؛ فإنما خلقت لك لتسمع بها كلام الله تعالى ، وسنة رسول الله عليه السلام ، وحكمة أوليائه ، وتوصل باستفادة العلم بها إلى الملك المقيم والنعم الدائم في جوار رب العالمين . فإذا أصغيت بها إلى شيء من المكاره صار ما كان لك عليك ، وانقلب ما كان سبب فوزك سبب هلاشك ، وهذا غاية الخسران . ولا تظن أن الإثم يختص به القائل دون المستمع : فقى الخبر : «أن المستمع شريك القائل وهو أحد المغتابين»<sup>(١٢١)</sup> .

---

(١٢١) للطراوي من حديث ابن عمر ، بسنده ضعيف : أنه رسول الله عليه السلام عن العبيه وسنه الاستماع إلى الغيبة .

## آداب اللسان

وأما اللسان : فإنما خلق لتکثیر به ذکر الله تعالى وتلاوة كتابه ، وترشد به خلق الله تعالى إلى طريقه ، وتظهر به ما في ضميرك من حاجات دينك ودنياك . فإذا استعملته في غير مالحق له ، فقد كفرت نعمة الله تعالى فيه ، وهو أغلب أعضائك عليك وعلى سائر الخلق ، ولا يكب الناس في النار على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم .

فاستظهر عليه بغاية قوتك حتى لا يكبك في قعر جهنم ، ففي الخبر : «إن الرجل ليتكلم بالكلمة ليضحك بها أصحابه فيهوى بها في قعر جهنم سبعين خريفا»<sup>(١٢٢)</sup> ، وروى أنه قتل شهيد في المعركة على عهد رسول الله ﷺ فقال قائل : هبئا له الحنة ، فقال ﷺ : «وما يدريك بعله كان يتكلم فيما لا يعنيه ، ويدخل بما لا يعنيه»<sup>(١٢٣)</sup> .

فاحفظ لسانك من ثمانية :

### الأول : الكذب :

فاحفظ منه لسانك في الجد والهزل ، ولا تعود لسانك الكذب هزلاً فيتداعى إلى الجد ، والكذب من أمehات الكبائر ، ثم إنك إذا عرفت بذلك سقطت عدالتك والثقة بقولك ، وتزدريلك الأعين وتحقرك . وإذا أردت أن تعرف قبح الكذب من نفسك ، فانظر إلى كذب

(١٢٢) رواه الترمذى .

(١٢٣) رواه الترمذى من حديث أنس مختصرًا . وقال : غريب . ورواه ابن أبي الدنيا بستة صحف .

غيرك ، وإلى نفرة نفسك عنه ، واستحقارك لصاحبه واستقباحك له .  
وكذلك فافعل في جميع عيوب نفسك ؛ فإنك لاترى قبح عيوبك من  
نفسك ، بل من غيرك ، فما استقبحه من غيرك يستقبحه غيرك منه  
لامحالة ؛ فلا ترض لنفسك ذلك .

### الثاني : الخلف في الوعد :

فإياك أن تعد بشيء ولا تفني به ، بل ينبغي أن يكون إحسانك إلى  
الناس فعلا بلا قول ، فإن اضطررت إلى الوعد ، فإياك أن تخلف إلا  
لعجز أو ضرورة ؛ فإن ذلك من امارات الفاق وخبائث الأخلاق ،  
قال النبي ﷺ : « ثلاثة من كن فيه فهو منافق وإن صام وصلى :  
من إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا أؤتمن خان »<sup>(١٢٤)</sup> .

### الثالث : الغيبة :

فاحفظ لسانك عنها ، والغيبة أشد من ثلاثين زنية في الإسلام .  
كذلك ورد في الخبر<sup>(١٢٥)</sup> .

ومعنى الغيبة : أن تذكر إنسانا بما يكرهه لو سمعه ، فأنت مغتاب  
ظالم وإن كتبت صادقا .

وإياك وغيبة القراء المראיين ، وهو أن تفهم المقصود من غير تصريح  
فتقول : أصلحه الله فقد ساعني وغمى ماجرى عليه ، فسأل الله تعالى  
أن يصلحنا وإياه ؛ فإن هذا جمع بين خبيثين ، أحدهما : الغيبة إذا  
حصل بها التفهم ، والآخر : تزكية النفس والثناء عليها بالتجريح لغيرك  
والصلاح لنفسك . ولكن إن كان مقصودك من قوله : أصلحه  
الله - الدعاء ؛ فادع له في السر . وإن اغتممت بسببه ، فعلامته أنك

(١٢٤) منفق عليه ، من حديث أبي هريرة .

(١٢٥) الذي رواه ابن أبي الدنيا ، بسند صعب ، عن أنس

لاتريد فضيحته واظهار عييه ، وفي إظهارك الغم بعييه إظهار تعبيه .

ويكفيك زاجرا عن الغيبة قوله تعالى : ﴿ ولا يغتب بعضكم بعضاً ، أئحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتـوه ﴾<sup>(١٢٦)</sup> . فقد شبهك الله باكل لحم الميتة ؛ فما أجدرك أن تخترز منها !

ويمنعتك عن الغيبة أمر لو تفكرت فيه ، وهو أن تنظر في نفسك ، هل فيك عيب ظاهر أو باطن ؟ ، وهل أنت مقارب معصية سرا أو جهرا ؟ فإذا عرفت ذلك من نفسك ، فاعلم أن عجزه عن التنزه عما نسبته إليه كعجزك ، وعدره كعذرك . وكما تكره أن تفتضح وتذكر عيوبك ، فهو أيضا يكرهه ؛ فإن ستره ستر الله عليك عيوبك ، وإن فضحته سلط الله عليك ألسنة حدادا ، يمزقون عرضك في الدنيا ، ثم يفضحوك الله في الآخرة على رعوس الخلائق يوم القيمة .

وإن نظرت إلى ظاهرك وباطنك ، فلم تطلع فيما على عيب ونقص في دين ولادنيا ، فاعلم أن جهلك بعيوب نفسك أصبح أنواع الحماقة ، ولا عيب أعظم من الحمق . ولو أراد الله بك خيرا ليصرك بعيوب نفسك ، فرؤيتك نفسك بعين الرضا غاية غباؤتك وجهلك . ثم إن كنت صادقا في ظنك فاشكر الله تعالى عليه ولاتفسيه بثلب الناس ، والتمضمض بأعراضهم ؛ فإن ذلك من أعظم العيوب .

#### الرابع : المرأة والجدال ومناقشة الناس في الكلام :

فذلك فيه إيذاء للمخاطب وتحليل له ، وطعن فيه ، وفيه ثناء على النفس وتركية لها بمزيد الفطنة والعلم ، ثم هو مشوش للعيش ؛ فإنك لاتمارى سفيها إلا ويؤذيك ، ولا تمارى حليما إلا ويقليلك ويخقد عليك ؛ فقد قال عليه صلوات الله عليه : « من ترك المرأة وهو مبطل بني الله له بيته في

١٢٦) الحجرات : ١٢٦

ربض الجنة، ومن ترك المرأة وهو محق بني الله له بيتا في أعلى الجنة»<sup>(١٢٧)</sup>.

ولainيتعى أن يخدعك الشيطان ويقول لك : أظهر الحق ولا تداهن فيه ، فإن الشيطان أبدا يستجر الحمقى إلى الشر في معرض الخير ، فلا تكن ضحكةً للشيطان فيسخر منك ، فاظهار الحق حسن مع من يقبله منك ، وذلك بطريق النصيحة في الخفية لا بطريق المماراة .

وللنصححة صفة وهيئة ، وينحتاج فيها إلى تلطف وإلا صارت فضيحة ، وكان فسادها أكثر من صلاحها .

ومن خالط متفقهة العصر غالب على طبعه المرأة والجدا ، وعسر عليه الصمت ، إذ ألقى إليه علماء السوء أن ذلك هو الفضل ، والقدرة على الحاجة والمناقشة هو الذي يمتدح به ؛ ففر منهم فرارك من الأسد ، وأعلم أن المرأة سبب المقت عند الله وعندخلق .

#### الخامس : تزكية النفس :

فقد قال الله تعالى : «فلا ترکوا أنفسكم هو أعلم بمن ألقى»<sup>(١٢٨)</sup> ، وقيل لبعض الحكماء : ما الصدق القبيح ؟ فقال : ثناء المرأة على نفسه . فإذاك أن تتعود ذلك ، وأعلم أن ذلك ينقص من قدرك عند الناس ، ويوجب مقتك عند الله تعالى . فإذا أردت أن عرف أحد ثناءك على نفسك لا يزيد في قدرك عند غيرك ، فانتظر إلى فكريتك إذا أثروا على أنفسهم بالفضل والجاه والمال كيف يستنكرونك عدديهم . ويستقله طبعك . وكيف تذمهم عليه إذا فارقتهم ؟ <sup>لهم</sup> ، لهم أيضا في حال تركيتك لنسخت بذمكك في نسبهم بحرأ ، سقطهونه بالسيم إذا فارقتهم .

<sup>١٢٧</sup> مسلم ، باب ملائكة ، من حديث أبي هريرة ، مع اختلافه . ومن شرطه ، حسن .

السادس : اللعن :

فإياك أن تلعن شيئاً ما خلق الله تعالى من حيوان أو طعام أو إنسان  
بعينه، ولا تقطع بشهادتك على أحد من أهل القبلة بشرك أو كفر أو  
نفاق؛ فإن المطلع على السرائر هو الله تعالى، فلا تدخل بين العباد  
ويبين الله تعالى، واعلم أنك يوم القيمة لا يقال لك : لمْ تلعن فلاناً،  
ولم سكت عنه؟ بل لم تلعن ابليس طول عمرك، ولم تشغلي لسانك  
بذكره لم تسأل عنه ولم تطالب به يوم القيمة . وإذا لعنت أحداً من  
خلق الله تعالى طولت به ، ولا تذمن شيئاً ما خلق الله تعالى ، فقد كان  
النبي ﷺ لا يذم الطعام البريء فقط ، بل كان إذا اشترى شيئاً أكله وإلا  
تم كه (١٤٢)

## السابع : الدعاء على الخلق :

فاحفظ لسانك عن الدعاء على أحد من خلق الله تعالى ، وإن  
ظلمتك فكل أمره إلى الله تعالى ؛ ففي الحديث : « إن المظلوم ليذعن  
على ظالمه حتى يكافئه ثم يبقى للظالم فضل عنده يطالبه يوم  
القيمة »<sup>(١)</sup> . وصل بعض الناس لسانه على الحجّاج فقال بعض  
السلف : إن الله لينتقم للحجّاج من تعرض له بسانه كما ينتقم من  
الحجّاج من ظلمه .

**الثامن : المزاح والسخرية والاستهزاء بالناس :**

فِي حِفْظِ سَنَاتِ مِنْهُ. فِي الْحَدَّ وَالْمُهَاجَرَةِ : فَإِنَّهُ يَرِيقُ مَاءَ الْوَجْهِ وَيَسْقُطُ  
شَعْرَهُ ، بَلْ وَحْشَةً <sup>١٣٣</sup> . وَيَؤْذِي الْمَلَوْبَ . وَهُوَ مِبْدأُ الْمَلَاجَاجِ

١٣٦ - مکالمہ علیہ الرحمہن و علیہ السلام  
عکس میں ہر دو مُؤمنین میں ایک مسلم و ایک مسیحی میں حجتتِ حقیقتہ سے صعیف : «من دعا  
پری کر لے جائے فرمادیں۔

والغضب والتصارم<sup>(١٣٢)</sup> ، ويغرس الحقد في القلوب ؛ فلا تمازح أحدا ؛ فإن مازحك أحد فلا تجبه ، وأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره ، وكن من الذين إذا مرروا باللغو مرروا كراما .

فهذه مجتمع آفات اللسان ، ولا يعينك عليه إلا العزلة ، أو ملازمة الصمت إلا بقدر الضرورة ؛ فقد كان أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه يضع حجرا في فيه يمنعه ذلك من الكلام بغير ضرورة ، ويشير إلى لسانه ويقول : هذا الذي أوردني الموارد . فاخترز منه بجهدك ؛ فإنه أقوى أسباب هلاكك في الدنيا والآخرة .

## آداب البطن

وأما البطن : فاحفظه من تناول الحرام والشبة ، واحرص على طلب الحلال ، فإذا وجده فاحرص على أن تقتصر منه على مادون الشبع ؛ فإن الشبع يفسى القلب ، ويفسد الذهن ، ويبطل الحفظ ، ويثقل الأعضاء عن العبادة والعلم ، ويقوى الشهوات ، وينصر جنود الشيطان .

والشبع من الحلال مبدأ كل شر ، فكيف من الحرام ! وطلب الحلال فريضة على كل مسلم ، والعبادة والعلم مع أكل الحرام كالبناء على السرجين<sup>(١٣٣)</sup> .

إذا قنعت في السنة بقميص خشن ، وفي اليوم والليلة برغيفين من الخشكار<sup>(١٣٤)</sup> ، وتركت التلذذ بأطيب الأدم ، لم يعوزك من الحلال ما يكفيك ، والحلال كثير .

(١٣٢) التصارم : الفاضل .

(١٣٣) السرجين بكسر السين : الروث .

(١٣٤) الخشكار : الرؤى من التغیر .

وليس عليك أن تتيقن بواطن الأمور ، بل عليك أن تخترز مما تعلم أنه حرام أو تخظن أنه حرام ظنا حصل من علامة ناجزة مقدرة بالمال ؛ أما المعلوم ظاهر ، وأما المظنون بعلامة فهو مال السلطان وعماليه ، ومال من لا يكسب له إلا من النياحة ، أو بيع الخمر ، أو الربا ، أو المرامير ؛ وغير ذلك من آلات اللهو الحرماء . فإن من علمت أن أكثر ماله حرام قطعا ، فما تأخذه من يده - وإن أمكن أن يكون حلا نادرا - فهو حرام ؛ لأنه الغالب على الظن .

ومن الحرام المغض ما يؤكل من الأوقاف من غير شرط الواقف ، فمن لم يستغلي بالتفقه بما يأخذه من المدارس حرام ، ومن ارتكب معصية ترد بها شهادته ، بما يأخذه باسم الصوفية من وقف أو غيره فهو حرام .

وقد ذكرنا مداخل الشبهات والحلال والحرام في كتاب مفرد من كتب إحياء علوم الدين ، فعليك بطلبها ؛ فإن معرفة الحلال وطلبه فريضة على كل مسلم ، كالصلوات الخمس<sup>(١٣٥)</sup> .

## آداب الفرج

وأما الفرج : فاحفظه عن كل ما حرم الله تعالى ، وكن كما قال الله : ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفِرْوَاهِمْ حَافِظُونَ، إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّمَا هُمْ بِغَيْرِ مَلُومِينَ﴾<sup>(١٣٦)</sup> .

(١٣٥) تعرض لهذا الموضوع بتوسيع الإمام أخاسي في كتابه القيم « الرزق الحلال » ، من دراستي وتحقيقى ، وإصدار مكتبة القرآن .

(١٣٦) المؤمنون : ٥ - ٦ .

ولاتصل إلى حفظ الفرج إلا بحفظ العين عن النظر ، وحفظ القلب عن التفكير ، وحفظ البطن عن الشبهة وعن الشبع ؛ فإن هذه محرّكات للشهوة ومحارسها .

## آداب اليدين

وأما اليدان : فاحفظهما عن أن تضرب بهما مسلما ، أو تتناول بهما مالا حراما ، أو تؤذى بهما أحدا من الخلق ، أو تخون بهما في أمانة أو وديعة ، أو تكتب بهما ما لا يجوز النطق به ؛ فإن القلم أحد اللسانين ، فاحفظ القلم عما يجب حفظ اللسان عنه .

## آداب الرجال

وأما الرجال : فاحفظهما عن أن تمثّل بهما إلى حرام ، أو تسعى بهما إلى باب سلطان ظالم ؛ فإن المشي إلى السلاطين الظلمة من غير ضرورة وارهاق معصية كبيرة ؛ فإنه تواضع وإكرام لهم على ظلمهم . وقد أمر الله تعالى بالإعراض عنهم في قوله تعالى : ﴿وَلَا ترکنوا إلی الَّذِينَ ظلمُوا فَتُمْسِكُمُ النَّار﴾<sup>(١٣٧)</sup> الآية ، وهو تكثير لسوادهم ، وإن ذلك لسبب طلب ماهم فهو سعي إلى حرام ، وقد قال عليه السلام : «من تواضع لغنى صالح لغناه ذهب ثلثا دينه»<sup>(١٣٨)</sup> ، وهذا في غنى صالح ، فما ظنك بالغنى الظالم ؟!

وعلى الجملة ، فحرّكاتك وسكناتك بأعصابك نعمة من نعم الله تعالى عليك ؛ فلا تحرك شيئا منها في معصية الله تعالى أصلا ، واستعملها في طاعة الله تعالى .

\_\_\_\_\_. (١٣٧) هود : ١١٣ .

(١٣٨) رواه البيهقي في الشعب ، عن ابن مسعود .

واعلم أنك إن قصرت فعليك وباله ، وإن شررت <sup>(١٣٩)</sup> فإليك تعود ثمرته ، والله غنى عنك وعن عملك ، وإنما كل نفس بما كسبت رهينة ، وإياك أن تقول : إن الله كريم رحيم يغفر الذنوب للعصاة ؛ فإن هذه الكلمة حق أريد بها باطل ، وصاحبها ملقب بالحمامة ، بتلقيب رسول الله ﷺ ، حيث قال : «الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والأحق من أتبع نفسه هواها ، وتنى على الله الأمان» <sup>(١٤٠)</sup> . واعلم أن قولك هذا أيضا هي قول من يريد أن يكون فقيها في علوم الدين من غير أن يدرس علما واشتغل بالبطالة وقال : إن الله كريم رحيم قادر على أن يفيض على قلبي من العلوم ما أفضه على قلوب أنبائاته وأوليائه من غير جهد وتكرار وتعلم ! وهو كقول من يريد ملا فترك الحراثة والتجارة والكسب ويتغطى ، وقال : إن الله كريم رحيم وله خزائن السموات والأرض وهو قادر على أن يطلعني على كنز من كنوز استغنى به عن الكسب ، فقد فعل ذلك لبعض عباده ! فأنت إذا سمعت كلام هذين الرجلين استحمد مقتهما وسخرت منها ، وإن كان ما وصفاه من كرم الله تعالى وقدرته صدقا وحقا ، فكذلك يصلاح عليك أرباب البصائر في الدين إذا طلبت المغفرة بغير سعي لها ، والله تعالى يقول : ﴿وَأَن لِّيْسَ لِلنِّسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ <sup>(١٤١)</sup> ، ويقول : ﴿إِنَّمَا تَحْبُّونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ <sup>(١٤٢)</sup> ويقول : ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ، وَإِنَّ الْفَجَارَ لَفِي جَحَّمٍ﴾ <sup>(١٤٣)</sup> .

(١٣٩) أى اجتهدت .

(٤٠) رواه الحاكم في المستدرك ، والمسكري ، والقضاعي ؛ عن شداد بن أوس به مروعاً . وقال الحاكم : صحيح على شرط البخاري ، وتعقبه الذهبي بأن ابن مريم (من رجال سدة) رواه .

(١٤١) التجمّع : ٢٩

(١٤٢) الطعن : ١٦

(١٤٣) الانتظار : ١٤

فإذا لم تكن ترك السعي في طلب العلم والمال اعتنادا على كرمه، فكذلك لا ترك التزود للأخرة، ولا تفتر؛ فإن رب الدنيا والأخرة واحد، وهو فيما يزيد رحيم، وليس يزيد له كرم بطاعتكم وإنما كرمه سبحانه وتعالى في أن يسر لكم طريق الوصول إلى الملك المقيم والنعيم الدائم الخلد، بالصبر على ترك الشهوات أياما قلائل، وهذا نهاية الكرم.

فلا تحدث نفسك بتهويات البطالين، واقتدى بأولى العزم والنوى من الأنبياء والصالحين، ولا تطمع في أن تحصد مالم تزرع. وليت من صام وصلى وجاهد واتقى غفرانه.

فهذه جمل مما ينبغي أن تحفظ عنه جوارحك الظاهرة، وأعمال هذه الجوارح إنما تترشح من صفات القلب؛ فإن أردت حفظ الجوارح فعليك بتطهير القلب؛ فهو تقوى الباطن، والقلب هو المضفة التي إذا صلحت صلح بها سائر الجسد، وإذا فسدة فسدت بها سائر الجسد، فاشتغل باصلاحه لتصلح به جوارحك، وصلاحه يكون بملازمة المراقبة.

## القول في معاishi القلب

اعلم أن الصفات المذمومة في القلب كثيرة، وطريق تطهير القلب من رذائلها طويلة، وسبيل العلاج فيها غامض، وقد اندرس بالكلية علمه وعمله؛ لغفلة الخالق عن أنفسهم واستغافلهم بزخارف الدنيا.

وقد استقصينا ذلك كله في كتاب «إحياء علوم الدين» في ربع المهلكات وربع المنجيات، ولكننا نذكر الآن ثلثاً من خبائث القلب، وهي العالية على متفقهها العصر؛ لتأخذ منها حدرك؟ فإنها مهلكات في أنفسها، وهي أمميات لجملة من الخبائث سواها؛ وهي الحسد، والرياء، والعجب؛ فاجتهد في تطهير قلبك منها؛ فإن قدرت عليها فتعلم كيفية الخدر من بقيتها من ربع المهلكات. فإن عجزت عن هذا، فأنت عن غيره أعجز.

ولا تظن أنك تسلم بنية صالحة في تعلم العلم، وفي قلبك شيء من الجسد والرياء والعجب، وقد قال عليهما عليهما : «ثلاث مهلكات : شح مطاع، وهو متبع، وإعجاب المرء بنفسه»<sup>(١٤٤)</sup>.

### الحسد

أما الحسد : فهو متشعب من الشح، فإن البخيل هو الذي يدخل بما في يده على غيره، والشحيح هو الذي يدخل بنعم الله تعالى وهي في خرائن قدرته تعالى، لافت خرائنه، على عباد الله فسحه أعظم.

(١٤٤) رواه العسكري، عن ابن عباس به مرفوعا.

والحسود هو الذى يشق عليه إنعام الله تعالى من خزائن قدرته ، على عبد من عباده بعلم أو مال أو محبة في قلوب الناس ، أو حظ من المحظوظ ، حتى أنه ليحب زواها عنده ، وإن لم يحصل له بذلك شيء من تلك النعمة ؛ فهذا منتهى الحديث ؛ فلذلك قال النبي ﷺ « الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب » <sup>(١٤٥)</sup> .

والحسود هو المعدب الذي لا يرحم ، ولا يزال في عذاب دائم في الدنيا ؛ فإن الدنيا لا تخلو قط من خلق كثير من أقرانه وعارفه من أنعم الله عليهم بعلم أو مال أو جاه ؛ فلا يزال في عذاب دائم في الدنيا إلى موته ، ولعذاب الآخرة أشد وأكبر .

بل لا يصل العبد إلى حقيقة الإيمان بالم يحب لسائر الناس ما يحب لنفسه ، بل ينبغي أن يساهم <sup>(١٤٦)</sup> المسلمين في السراء والضراء ؛ فالMuslimون كالبنيان الواحد يشد بعضه ببعض ، وكالجسد الواحد إذا اشتئى منه عضو اشتكتي سائر الجسد . فإن كنت لاتصادف هذا من قلبك ، فاشتغالك بطلب التخلص من الهلاك أهم من اشتغالك بنوادر الفروع وعلم الخصومات .

## الرياء

وأما الرياء : فهو الشرك الخفى ، وهو أحد الشركين ، وذلك طلب المزلة في قلوب الخلق ، لتنال بها الجاه والحسنة ، وحب الجاه من الهوى المتبغ ، وفيه هلك أكثر الناس ، فما أهلك الناس إلا الناس ، ولو أنصف الناس حقيقة لعلموا أن أكثر ماهم فيه من العلوم والعبادات فضلا عن أعمال العادات ، ليس يحملهم عليه إلا مراءاة الناس ، وهي

(١٤٥) رواه أبو داود ، من حديث أبي هريرة ؛ وابن ماجه ، من حديث أنس .

(١٤٦) أنس يشارك .

محبطة للأعمال ، كما ورد في الخبر : «أن الشهيد يؤمر به يوم القيامه إلى النار ، فيقول : يارب استشهادت في سيلك ، فيقول الله تعالى : بل أرددت أن يقال إنك شجاع ، وقد قيل ذلك ، وذلك أجرك - وكذلك يقال للعلم وال الحاج والقاريء»<sup>(١٤٧)</sup> .

## العجب والكبر والفخر

وأما العجب والكبر والفخر : فهو الداء العضال ، وهو نظر العبد إلى نفسه بعين العز والاستعظام ، وإلى غيره بعين الاحتقار والذل ، ونتيجه على اللسان أن يقول : أنا وأنا كما قال إبليس اللعين : «أنا خير منه ، خلقتني من نار ، وخلقته من طين»<sup>(١٤٨)</sup> ، وثمرته في المجالس الترفع والتقدم وطلب التصدر فيها ، وفي المخاورة الاستنكاف من أن يرد كلامه عليه .

ومتكبر هو الذي إن وعظ أنف ، أو وعظ عنف ، فكل من رأى نفسه خيرا من أحد من خلق الله تعالى فهو متكبر .

بل ينبغي لك أن تعلم أن الخير من هو خير عند الله في دار الآخرة ، وذلك غيب ، وهو موقف على الخاتمة ؛ فاعتقادك في نفسك أنك خير من غيرك جهل محض ، بل ينبغي ألا تنظر إلى أحد إلا وترى أنه خير منك ، وأن الفضل له على نفسك ، فإن رأيت صغيرا قلت : هذا لم يعص الله وأنا عصيته ، علا شك أنه خير مني وإن رأيت كبيرا قلت هذا قد عبد الله قبل ، فلا شك أنه خير مني . وإن كان عالما قلت : هذا قد أعطى مالم أعط ، وبلغ مالم أبلغ ، وعلم ما جهلت ؛ فكيف أكون مثله ؟ وإن كان جاهلا قلت : هذا قد عصى الله بجهل ، وأنا

(١٤٧) رواه مسلم . عن أبي هريرة .

(١٤٨) الأعراف : ١٢ .

عصيته بعلم ؟ فحجة الله على آكده ، وما أدرى بم يختتم لي و بم يختتم له ؟ وإن كان كافرا قلت : لا أدرى ، عسى أن يسلم و يختتم له بخير العمل ، ويسهل بإسلامه من الذنوب كما تنسى الشعرة من العجيز ، وأما أنا - والعياذ بالله - فعسى أن يضلني الله فأكفر فيختتم لي بشر العمل ؟ فيكون غدا هو من المقربين ، وأنا أكون من المبعدين .

فلا يخرج الكبير من قلبك إلا بأن تعرف أن الكبير من هو كبير عند الله تعالى ، وذلك موقوف على الخاتمة ، وهى مشكوك فيه ؛ فيشغلك خوف الخاتمة عن أن تتكبر مع الشك فيها على عباد الله تعالى ، فيقينك وإيمانك في الحال لا ينافق تجويزك التغير في الاستقبال ؛ فإن الله مقلب القلوب يهدى من يشاء ، ويضل من يشاء .

## حديث جامع في معاishi القلب

ولأخبار في الحسد والكثير والرياء والعجب كثيرة ، ويكفيك فيها حديث واحد جامع ؛ فقد روى ابن المبارك<sup>(١٤٩)</sup> بإسناده عن رجل أنه قال لمعاذ : ياماذا حدثني حدثنا سمعته من رسول الله ﷺ ، قال : فبكى معاذ حتى ظنت أنه لا يسكت ، ثم سكت ، ثم قال : واشوقاه إلى رسول الله ﷺ وإلى لقائه ، ثم قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول لي : « ياماذا ، إني محدثك بحديث إن أنت حفظته نفعك عند الله ، وإن ضيعته ولم تحفظه انقطعت حجتك عند الله تعالى يوم القيمة ياماذا إن الله تبارك وتعالى خلق سبعة أملاك قبل أن يخلق السموات والأرض ،

(١٤٩) عبد الله بن المبارك بن واضح المخطل بالولا ، التميمي ، المروزي ، أبو عبد الرحمن : ١١٨ : ١٨١ = ٧٣٦ - ٧٩٧ (١٤٩) المحافظ . شيخ الإسلام ، المأهود ، التاجر ، صاحب التصانيف والرحلات . له كتاب في «الجهاد» وهو أول من صنف فيه ، و«الرقائق» . الأعلام ٤ : ١١٥ ، وتدكرة المحافظ ١ : ٢٥٣ . والرسالة المستطرفة ٣٧ . ومفتاح السعادة ٢ : ١١٢ . وحلية ٨ : ١٦٢ . وذيل المذيل ١٠٧ .

فجعل لكل سماء من السبع ملكاً ببابا عليها، فتصعد الحفظة بعمل العبد من حين يصبح إلى حين يمسي، له نور كنوز الشمس، حتى إذا صعدت به إلى السماء الدنيا زكته وكثثره، فيقول الملك الموكل بها للحفظة: اضربوا بهذا العمل وجه صاحبه، أنا صاحب الغيبة، أمرني ربى ألا أدع عمل من اغتاب الناس يجاوزني إلى غيري، قال: ثم تأتي الحفظة بعمل صالح من أعمال العبد له نور فتزكيه وتكتره حتى تبلغ به إلى السماء الثانية، فيقول لهم الملك الموكل بها: قفووا، واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه، إنه أراد بعمله عرض الدنيا، أنا ملك الفخر، أمرني ربى ألا أدع عمله يجاوزني إلى غيري، إنه كان يفتخر على الناس في مجالسهم، قال: وتصعد الحفظة بعمل العبد يتبع نوراً، من صدقة وصلة وصيام، قد أعجب الحفظة، فيجاوزون به إلى السماء الثالثة، فيقول لهم الملك الموكل بها: قفووا، واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه، أنا ملك الكبر، أمرني ربى ألا أدع عمله يجاوزني إلى غيري؛ إنه كان يتكبر على الناس في مجالسهم، قال: وتصعد الحفظة بعمل العبد يزهو كا يزهو الكوكب الدرى، وله دوى من تسبيح وصلة وصيام وحج وعمره، حتى يجاوزوا به إلى السماء الرابعة، فيقول لهم الملك الموكل بها: قفووا، واضربوا بهذا سـ.ـ وجه صاحبه وظهره وبطنه، أنا صاحب العجب، أمرني ربى ألا أدع عمله يجاوزني إلى غيري؛ إنه كان إذا عمل عملاً أدخل العجب فيه، قال: وتصعد الحفظة بعمل العبد حتى يجاوزوا به إلى السماء الخامسة كأنه العروس المزفوفة إلى بعلها، فيقول الملك الموكل بها: قفووا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه، واحملوه على عاتقه، أنا ملك الحسد، إنه كان يحسد من يتعلم ويعمل بمثل عمله، وكل من كان يأخذ فضلاً من العبادة كان يحسدهم، ويقع فيهم، أمرني ربى ألا أدع عمله يجاوزني إلى غيري.

قال : وتصعد الحفظة بعمل العبد له ضوء كضوء الشمس ، من صلاة  
 وزكاة وحج وعمره وجهاد وصيام ، فيجاوزون به إلى السماء السادسة ،  
 فيقول لهم الملك الموكل بها : قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه ؛  
 إنه كان لا يرحم إنساناً قط من عباد الله أصابه بلاء أو مرض ، بل كان  
 يشمت به ، أنا ملك الرحمة ، أمرني ربِّي ألا أدع عمله يجاوزني إلى  
 غيري ، قال : وتصعد الحفظة بعمل العبد من صوم وصلاة ونفقه  
 وجهاد وورع ، له دوى كدوى التحل ، وضوء كضوء الشمس ،  
 ومعه ثلاثة آلاف ملك ، فيجاوزون به إلى السماء السابعة ، فيقول لهم  
 الملك الموكل بها : قفوا ، واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه ، واضربوا  
 جوارحه واقفلوا به على قلبه ، أنا صاحب الذكر ، فإني أحجب عن  
 ربِّي كل عمل لم يرد به وجه ربِّي ؛ إنه إنما أراد بعمله غير الله تعالى ، إنه  
 أراد به رفعة عند الفقهاء ، وذكرها عند العلماء ، وصيانتها في المداين ،  
 أمرني ربِّي ألا أدع عمله يجاوزني إلى غيري ، وكل عمل لم يكن لله  
 تعالى خالصاً فهو رباء ، ولا يقبل الله عمل المرأى .. قال : وتصعد  
 الحفظة بعمل العبد من صلاة وزكاة وصيام وحج وعمره وخلق حسن  
 وصمت وذكر الله تعالى ، فتشيعه الملائكة السموات السبع حتى يقطعوا  
 به الحجب كلها إلى الله تعالى ، فيقفون بين يديه ، ويشهدون له بالعمل  
 الصالح الخالص لله تعالى ، فيقول الله تعالى : أنتم الحفظة على عمل  
 عبدي ، وأنا الرقيب على ما في قلبه ؛ إنه لم يردني بهذا العمل ، وإنما أراد  
 به غيري ، فعليه لعنتي ، فتقول الملائكة كلها : عليه لعنتك ولعنتنا ،  
 فتلعنهم السموات السبع ومن فيهم» . ثم بكى معاذ ، وانتصب انتحاباً  
 شديداً<sup>(١٥٠)</sup> ، وقال معاذ : قلت يا رسول الله أنت رسول الله وأنا  
 معاذ ، فكيف لي بالنجاة والخلاص من ذلك ؟ قال : «اقتد بي وإن

---

(١٥٠) أى رفع صوته بالبكاء .

كان في عملك نقص، يامعاذ حافظ على لسانك من الوقعة في إخوانك من جلة القرآن خاصة، واحمل ذنبك عليك، ولا تحملها عليهم، ولا تزل نفسك بذمهم، ولا ترفع نفسك عليهم، ولا تدخل عمل الدنيا في عمل الآخرة، ولا تراء بعملك، ولا تكبر في مجلسك، لكي يحدرك الناس من سوء خلقك، ولا تناج رجلاً وعنده آخر، ولا تعظم على الناس فتقطع عنك خيرات الدنيا والآخرة، ولا تفرق الناس بلسانك فتمزقك كلاب النار يوم القيمة في النار، قال الله تعالى : ﴿وَالنَاشطات نَشْطًا﴾<sup>(١٥١)</sup> ، هل تدرى من هن يامعاذ ؟ ، قلت : ماهن - بأى أنت وأمى - يارسول الله ؟ قال : «كلاب في النار تنشط اللحم من العظم»<sup>(١٥٢)</sup> ، قلت : بأى أنت وأمى يارسول الله ، من يطبق هذه الخصال ومن ينجو منها ؟ قال : «يامعاذ إنه ليسير على من يسره الله تعالى عليه ، إنما يكشفك من ذلك أن تحب للناس ماتحب لنفسك ، وتكره لهم ماتكره لنفسك ؛ فإذا ذننت يامعاذ قد سلمت»<sup>(١٥٣)</sup> . قال خالد بن معدان<sup>(١٥٤)</sup> : فما رأيت أحداً أكثر تلاوة للقرآن العظيم من معاذ لهذا الحديث العظيم .

فتأمل أيها الراغب في العلم هذه الخصال ، واعلم أن أعظم الأسماك في رسوخ هذه الخبائث في أنقاب : طلب العلم لأجل المباهاة والمنافسة ، فالعامي بمعزل عن أكثر هذه الخصال ، والمتفقه مستهدف لها ، وهو متعرض للهلاك بسببها ؛ فانظر أي أمورك أهم ، أتعلم كيفية الخنزير من هذه المهلكات ، وتشتغل بإصلاح قلبك وعمارة آخرتك ؟ أم الأهم

(١٩٢) أي يخْرُجُ مِنَ الْأَحْسَادِ، مِنْ نَشْطِ الدَّلَمِ مِنَ الشَّرِّ إِذَا أَخْرَجَهَا.

(١٥٣) عزاه المصنف إلى رواية عبد الله بن المبارك بإسناده عن رجل عن معاذ، وهو كما قال؛ رواه  
الحمد، وفـ إسناده - كذا ذكر - مـ لم يسمـ، ورواه ابن الحوزـ في الموضـعـاتـ.

۱۹۴) خالد بن مقدان بن أنس كرس الكلابع، أبا عبد الله: تابع، ثقة، من أشتصوا بالعادية.

(١٥٤) حاتم بن معدان بن أبي قرب المخزني أبو عبد الله . زابي ، الله ، من سهروا بأعياده . أصله من اليمن ، وإقامته في حصر الشام - وكان ينول شرطة يزيد بن معاوية . الأعلام ٢ : ٢٩٩ ، ٢٩٦

وتهذيب ابن عساكر ٥ : ٨٦ . وتوف عام ١٠٤ هـ

أن تخوض مع الخائضين، فتطلب من العلم ما هو سبب زيادة الكبر والرياء والحسد والعجب، حتى تهلك مع الحالكين .

واعلم أن هذه الحالات الثلاث من أمميات خبائث القلب، ولها مغرس واحد، وهو حب الدنيا، ولذلك قال النبي ﷺ : «حب الدنيا رأس كل خطية»<sup>(١٥٥)</sup>، ومع هذا فالدنيا مزرعة للآخرة، فمن أخذ من الدنيا بقدر الضرورة، ليستعين بها على الآخرة، فالدنيا مزرعته ؛ ومن أراد الدنيا ليتنعم بها، فالدنيا مهلكته .

فهذه نبذة يسيرة من ظاهر علم التقوى، وهي بداية الهداية، فإن حربت بها نفسك وطاوتك عليها، فعليك بكتاب «إحياء علوم الدين» ؛ لتعرف كيفية الوصول إلى باطن التقوى .

وإن كنت تطلب العلم من القليل والقال، والمراء والجدال، فما أعظم مصيبك ! وما أطول تعبك ! وما أعظم حرمانك وخسارتك ! فاعمل ما شئت ؛ فإن الدنيا التي تطليها بالدين لا تسلم لك ، والآخرة تسلب منك ؛ فمن طلب الدنيا بالدين خسرهما جميما ، ومن ترك الدنيا للدين رجحهما جميما .

إذا عمرت بالتقوى باطن قلبك ، فعند ذلك ترتفع الحجب بينك وبين ربك ، وتكتشف لك أنوار المعرف ، وتنفجر من قلبك ينابيع الحكم ، وتتضخ لك أسرار الملك والملوك ، ويتسير لك من العلوم ما تستحق به هذه العلوم الحديثة التي لم يكن لها ذكر في زمن الصحابة رضى الله عنهم والتابعين .

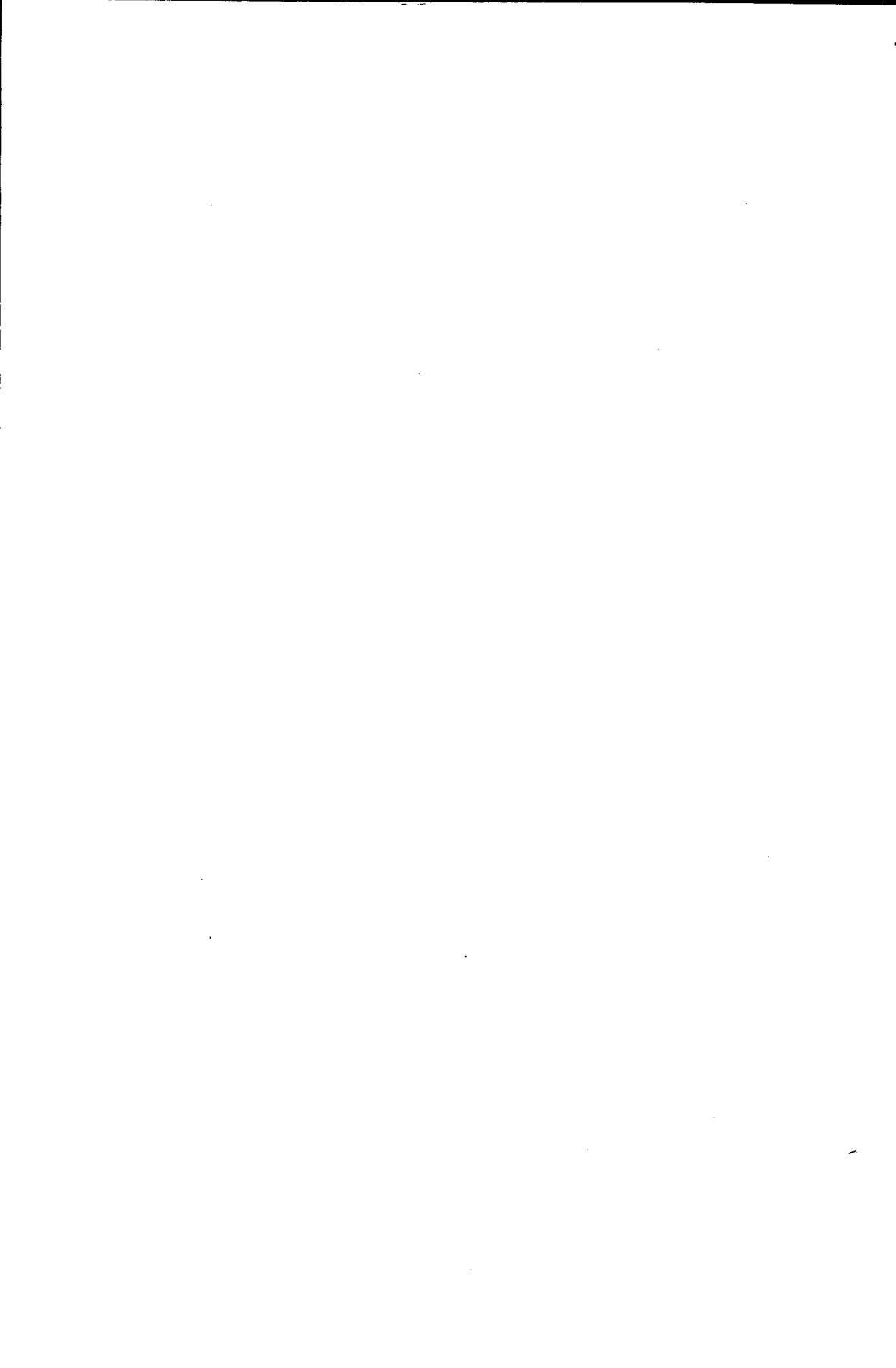
فهذه جمل الهداية إلى بداية الطريق في معاملتك مع الله تعالى بأداء أوامره واجتناب نواهيه ، وأشار عليك الآن بجمل من الآداب لتوأخذ نفسك بها في مخالطتك مع عباد الله تعالى وصحبتك معهم في الدنيا .

(١٥٥) رواه البيهقي في الحادى والسبعين من الشعب . بإسناد حسن إلى الحسن البصري ، رفعه مرسلاً

## القسم الثالث

# القول في آداب الصحابة

- آداب الصحابة مع الله تعالى
- آداب العالم
- آداب المتعلم
- آداب الولد مع الوالدين
- أصناف الناس في العلاقة بالمرء
- آداب العلاقة بالعوام المجهولين
- آداب العلاقة بالإخوان والأصدقاء
- شروط الصحابة والصداقة
- مراعاة حقوق الصحابة
- آداب العلاقة بالمعارف
- نهاية المطاف



## آداب الصحبة مع الله تعالى

اعلم أن صاحبك الذى لا يفارقك في حضرك وسفرك ونومك ويقطنك ، بل في حياتك وموتك ، هو ربك وسيسك ومولاك وخالقك ، ومهما ذكرته فهو جليسك ؛ إذ قال الله تعالى : « أنا جليس من ذكرني »<sup>(١٥٦)</sup> .

ومهما انكسر قلبك حزنا على تقصيرك في حق دينك ، فهو صاحبك وملازمك ؛ إذ قال الله تعالى : « أنا عند المنكسرة قلوبهم من أجلى »<sup>(١٥٧)</sup> .

فلو عرفته حق معرفته لاتخذته صاحبا وتركت الناس جانبا . فإن لم تقدر على ذلك في جميع أوقاتك ، فإياك أن تخلى ليك ونهارك عن وقت تخلي فيه مولاك وتتلذذ معه بمناجاتك له ، وعند ذلك فعليك أن تتعلم آداب الصحبة مع الله تعالى .

وآدابها : إطراق الرأس ، وغض الطرف ، وجمع الهم ، ودوام الصمت ، وسكون الجوارح ، ومبادرة الأمر ، واجتناب النهى ، وقلة الاعتراض على القدر ، ودوام الذكر ، وملازمة الفكر ، وإثمار الحق على الباطل ، والإياس عن الخلق<sup>(١٥٨)</sup> ، والخضوع تحت الهيبة ،

(١٥٦) رواه البيلى ، بلا سند عن عائشة مرفوعاً . وفي الصحيحين : « أنا عند ظن عبدى فى ، وأنا معه إذا ذكرنى » . وانظر : المقاصد ٩٥ ، والتبييز ٣٣ ، والدرر المنشورة ٤٠ ، وكشف الحفاء ٢٠١ : ١ .

(١٥٧) انظر : المقاصد ٩٦ ، وتمييز الطيب من الخبيث ٣٣ ، وكشف الحفاء ١ : ٢٠٣ ، والأسرار ١١٧ .

(١٥٨) المراد بالأسئلة منهم .

والانكسار تحت الحياة ، والسكون عن حيل الكسب ثقة بالضمان ،  
والتوكل على فضل الله تعالى معرفة بحسن الاختيار .

وهذا كله ينبغي أن يكون شعارك في جميع ليلك ونهارك ؛ فإنها  
آداب الصحابة مع صاحب لا يفارقك ، والخلق كلهم يفارقونك في  
بعض أوقاتك .

## آداب العالم

وإن كنت عالما ، فآداب العالم : الاحترام ، ولزوم الحلم ،  
والجلوس بالهيبة على سمت الوقار مع إطراق الرأس ، وترك التكبر على  
جميع العباد إلا على الظلمة زجرا لهم عن الظلم ، وإيشارا للتواضع في  
المحافل وال مجالس ، وترك المهر وللداعبة ، والرفق بالمتعلم ، والتأني  
بالمتعجرف ، وإصلاح البليد بحسن الارشاد ، وترك الحرد<sup>(١٥٩)</sup> عليه ،  
وترک الأنفة من قول : « لا أدری » ، وصرف الهمة إلى السائل وتفهم  
سؤاله ، وقبول الحجة ، والانقياد للحق ، والرجوع إليه عند المفهوة ،  
ومنع المتعلم عن كل علم يضره ، وزجره عن أن يرید بالعلم النافع غير  
وجه الله تعالى ، وصد المتعلم عن أن يستغل بفرض الكفاية قبل الفراغ  
من فرض العين .. وفرض عينه إصلاح ظاهره وباطنه بالتقوى ،  
ومؤاخذة نفسه أولاً بالتقوى ليقتدى المتعلم أولاً بأعماله ، ويستفيد  
ثانياً من أقواله .

## آداب المتعلم

وإن كنت متعلما ، فآداب المتعلم مع العالم : أن يبدأ بالتحية  
والسلام ، وأن يقلل بين يديه الكلام ، ولا يتكلم مالم يسأله أستاذه ،  
(١٥٩) الحرد : الغضب . وحد عليه بحد : غضب .

ولايُسأل ما لم يستأذن أولاً ، ولا يقول في معارضة قوله : قال فلان بخلاف ما قلت ، ولا يشير عليه بخلاف رأيه فيرى أنه أعلم بالصواب من أستاذه ، ولا يسأل جليسه في مجلسه ، ولا يلتفت إلى الجوانب ، بل يجلس مطرقا ساكنا متادبا كأنه في الصلاة ، ولا يكثر عليه السؤال عند ملله ، وإذا قام قام له ، ولا يتبعه بكلامه رسالته ، ولا يسأله في طريقة إلى أن يبلغ إلى منزله ، ولا يسىء الظن به في أفعال ظاهرها منكرة عنده ، فهو أعلم باسراره ، وليدرك عند ذلك قول موسى للخضر — عليهم السلام : ﴿أَخْرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا﴾ ، لقد جئت شيئاً إمراه<sup>(١٦٠)</sup> ، وكونه خططاً في إنكاره اعتقاداً على الظاهر .

## آداب الولد مع الوالدين

وإن كان لك والدان ، فآداب الولد مع الوالدين : أن يسمع كلامهما ، ويقوم لقياً لهمما ، ويتمثل لأمرهما ، ولا يمشي أمامهما ، ولا يرفع صوته فوق أصواتهما ، ويلبي دعوتهما ، ويحرص على مرضاهما ، وينخفض لهما جناح الذل ، ولا يمتن عليهمما بالبر لهما ولا بالقيام لأمرهما ، ولا ينظر إليهما شذرأ<sup>(١٦١)</sup> ، ولا يقطب<sup>(١٦٢)</sup> وجهه في وجههما ، ولا يسافر إلا بإذنهما .

## أصناف الناس في العلاقة بالمرء

واعلم أن الناس بعد هؤلاء في حقلك ثلاثة أصناف : إما أصدقاء ، وإما معاريف ، وإما مجاهيل .

(١٦٠) الكهف : ٧١ . ومعنى قوله : «لقد جئت شيئاً إمراً» أي أتيت شيئاً عظيماً شيئاً .

(١٦١) أي لا ينظر إليهما بجانب العين .

(١٦٢) قطب الرجل يقطب قطبها : زوى بين عبيه وكلح .

## آداب العلاقة بالعوام المجهولين

فإن بليت بالعوام المجهولين ، فآداب مجالستهم : ترك الخوض في حديثهم ، وقلة الإصغاء إلى أراجيفهم<sup>(١٦٣)</sup> ، والتجاهل عمما يجري من سوء ألفاظهم ، والاحتراز عن كثرة لقائهم وال الحاجة إليهم ، والتنبية على منكراتهم باللطف والنصح عند رجاء القبول منهم .

## آداب العلاقة بالأخوان والأصدقاء

وأما الإخوان والاصدقاء ، فعليك فيهم وظيفتان :

### شروط الصحبة والصدقة

إحداهما : أن تطلب أولاً شروط الصحبة والصدقة ، فلا تؤاخ إلا من يصلح للأخوة والصدقة ، قال رسول الله ﷺ : « المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالف<sup>(١٦٤)</sup> »

فإذا طلبت رفيقاً ليكون شريكك في التعلم ، وصاحبك في أمر دينك ودنياك ، فراع فيه خمس خصال :

**الأولى : العقل** : فلا خير في صحبة الأحمق ، فإلى الوحشة والقطيعة يرجع آخرها ، وأحسن أحواله أن يضرك وهو يريد أن ينفعك ، والعدو العاقل خير من الصديق الأحمق ، قال على رضي الله عنه :

(١٦٣) أي لغورهم الذي يُشكك في قيمته وصحته .

(١٦٤) رواه أبو داود ، والترمذى وحسنه ، والطیالسى ، والیقى ، والقضاعى من طريقه ، والعسکرى : من حديث موسى بن وردان عن إبراهيم هريرة به مرفرعاً .

فلا تصحب أخـاـ الجـهـل  
 وإـيـاكـ وـإـيـاهـ  
 فـكـمـ منـ جـاهـلـ أـرـدـيـ (١٦٥)  
 حـلـيمـ سـاحـينـ آـخـاهـ  
 يـقـاسـ المـرـءـ بـالـمـرـءـ  
 إـذـاـ ماـ مـاشـاهـ  
 كـحـنـدوـ النـعـلـ بـالـنـعـلـ  
 إـذـاـ ماـ النـعـلـ حـادـاهـ  
 وـلـشـئـ منـ الشـئـ  
 مقـايـيسـ وـأـشـبـاهـ  
 ولـلـقـلـبـ عـلـىـ الـقـلـبـ  
 دـلـيـلـ حـينـ يـلـقـاهـ

الثانية : حسن الخلق : فلا تصحب من ساء خلقه ، وهو الذي لا يملك  
 نفسه عند الغضب والشهوة . وقد جمعه علقة العطارد رحمه الله  
 تعالى في وصيته لابنه لما حضرته الوفاة ، فقال : يابني إذا أردت صحبة  
 إنسان فاصحب من إذا خدمته صانك ، وإن صحبته زانك ، وإن  
 قعدت بك مؤنة مانك (١٦٦) .. اصبح من إذا مددت يدك بخير مدها ،  
 وإن رأى منك حسنة عدها ، وإن رأى منك سيئة سدها (١٦٧) ..  
 اصحاب من إذا قلت صدق قولك ، وإن حاولت أمراً أمرك ، وإن  
 تنازعتما في شر آثرك .

(١٦٥) أردي : أهله .

(١٦٦) مانك : أي مدرك بالمؤنة .

(١٦٧) المراد : عاجز حطأك وأعاليك على إصلاحه .

وقال على رضى الله عنه رجرا :  
 إن أخـاك الحق من كان معك  
 ومن يضر نفسه لينـفكـعك  
 ومن إذا رـيب الزـمان صـدـعـكـ  
 شـتـتـ فـيـكـ شـمـلـهـ ليـجـمـعـكـ

**الثالثة : الصلاح :** فلا تصحب فاسقا مـصـراـ على معـصـيـةـ كـبـيرـةـ ؛ لأنـ منـ يـخـافـ اللهـ لاـ يـصـرـ عـلـىـ كـبـيرـةـ ، وـمـنـ لاـ يـخـافـ اللهـ لاـ تـؤـمـنـ غـوـائـلـهـ ، بلـ يـتـغـيـرـ بـتـغـيـرـ الأـحـوـالـ وـالأـعـرـاضـ ، قالـ اللهـ تـعـالـىـ لـنـبـيـهـ ﷺ : ﴿وَلَا تـطـعـ مـنـ أـغـفـلـنـاـ قـلـبـهـ عـنـ ذـكـرـنـاـ وـاتـبـعـ هـوـاهـ وـكـانـ أـمـرـهـ فـرـطـ﴾ (١٦٨) .

فـاحـذـرـ صـحـبـةـ الـفـاسـقـ ؛ فإنـ مـشـاهـدـةـ الـفـسـقـ وـالـمـعـصـيـةـ عـلـىـ الدـوـامـ تـزـيلـ عنـ قـلـبـكـ كـرـاهـيـةـ الـمـعـصـيـةـ ، وـتـهـونـ عـلـيـكـ أـمـرـهـاـ ، وـلـذـلـكـ هـاـنـ عـلـىـ الـقـلـوبـ مـعـصـيـةـ الـغـيـرـ إـلـاـ فـهـمـ هـاـ ، وـلـوـرـأـواـ خـاتـمـاـ مـنـ ذـهـبـ أوـ مـلـبـوـسـاـنـ حـرـيرـ عـلـىـ فـقـيـهـ لـاشـتـدـ إـتـكـارـهـ عـلـيـهـ ، وـالـغـيـرـ أـشـدـ مـنـ ذـلـكـ .

**الرابعة : أـلـاـ يـكـونـ حـرـيـصـ عـلـىـ الدـنـيـاـ :** فـصـحـبـةـ الـحـرـيـصـ عـلـىـ الدـنـيـاـ سـمـ قـاتـلـ ؛ لأنـ الطـبـاعـ مـجـبـولـةـ عـلـىـ التـشـبـهـ وـالـاقـتـداءـ ، بلـ الطـبـعـ يـسـرـقـ مـنـ الطـبـعـ مـنـ حـيـثـ لـاـ يـدـرـىـ ، فـمـجـالـسـهـ الـحـرـيـصـ تـزـيدـ فـحـرـصـكـ ، وـمـجـالـسـهـ الـزـاهـدـ تـزـيدـ فـزـهـدـكـ .

**الخامسة : الصدق :** فلا تـصـحبـ كـذـابـاـ ؛ فإنـكـ مـنـهـ عـلـىـ غـرـورـ ، فإـنـهـ مـثـلـ السـرـابـ ، يـقـرـبـ مـنـكـ الـبـعـيدـ ، وـيـبعـدـ مـنـكـ الـقـرـيبـ .

وـأـعـلـكـ تـعـدـمـ اـجـتـمـاعـ هـذـهـ الـخـصـالـ فـيـ سـكـانـ الـمـدارـسـ وـالـمـسـاجـدـ ؛ فـعـلـيـكـ بـأـحـدـ أـمـرـيـنـ : إـمـاـ العـزـلـةـ وـالـانـفـرـادـ ؛ فـقـيـهـاـ سـلـامـتـكـ .. وـإـمـاـ أـنـ تـكـونـ مـخـالـطـتـكـ مـعـ شـرـ كـائـنـ بـقـدـرـ خـصـاـلـهـمـ ، بـأـنـ تـعـلـمـ أـنـ إـلـاـخـوـةـ ثـلـاثـةـ : أـخـ

(١٦٨) نـكـفـ : ٢٨ .

الآخرتك فلا تراع فيه إلا الدين، وأخ لدنياك فلا تراع فيه إلا الخلق الحسن، وأخ لتأنس به فلا تراع فيه إلا السلامة من شره وفتنته وخبيثه.

والناس ثلاثة : أحدهم مثله مثل الغذاء لا يستغني عنه ، والآخر مثله مثل الدواء يحتاج إليه في وقت دون وقت ، والثالث مثله مثل الداء ، لا يحتاج إليه قط ، ولكن العبد قد يتسلل به ، وهو الذي لا أنس فيه ولا نفع ؛ فتوجب مداراته إلى الخلاص منه ، وفي مشاهدته فائدة عظيمة إن وفقت لها ، وهو أن تشاهد من خبائث أحواله وأفعاله ما تستقبنه فتجتنبه ؛ فالسعيد من وعظ بغيره ، والمؤمن مرآة المؤمن ، وقيل ليعسى عليه السلام : من أدبك ؟ فقال : ما أدبني أحد ، ولكن رأيت جهل الجاهل فاجتنبته . ولقد صدق - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - فلو اجتنب الناس ما يكرهونه من غيرهم لکملت آدابهم واستغنووا عن المؤذين .

## الوظيفة الثانية

### مراقبة حقوق الصحبة<sup>(١٦٩)</sup>

فمهما انعقدت الشركة ، وانتظمت بينك وبين شريكك الصحبة ، فعليك حقوق يوجبها عقد الصحبة ، وفي القيام بها آداب ، وقد قال عليه السلام : « مثل الأخرين مثل اليدين تغسل إحداهما الأخرى »<sup>(١٧٠)</sup> ، ودخل عليه السلام أجمة ، فاجتنى منها سواكين ، أحدهما معوج ، والآخر مستقيم ، وكان معه بعض أصحابه ، فاعطاه المستقيم ، وأمسك لنفسه المعوج ، فقال : يارسول الله أنت أحق مني بالمستقيم ، فقال عليه السلام : « مامن صاحب يصعب صاحبا ولو ساعة من نهار إلا وسئل عن صحبته ، هل أقام فيها حق الله تعالى أو أضاعه »<sup>(١٧١)</sup> . وقال عليه السلام : « ما اصطحب اثنان قط إلا و كان أحجهما إلى الله تعالى أرقهما بصاحبه »<sup>(١٧٢)</sup> .

**وآداب الصحبة :** الإيثار بالمال ، فإن لم يكن هذا فيبذل الفضل من المال عند الحاجة ، والإعانة بالنفس في الحاجات ، على سبيل المبادرة من غير احراج إلى التماس ، وكتنان السر ، وستر العيوب ، والسكوت على تبليغ مايسؤه من مذمة الناس إياه ، وإبلاغ مايسره من ثناء الناس عليه ، وحسن الإصغاء عند الحديث ، وترك المماراة فيه ، وأن يدعوه بأحباب إسمائه إليه ،

(١٦٩) نذكر الغارىء الكريم بأن الوظيفة الأولى عنى إلى تكلم فيها الإمام العزلى عن شروط الصحة والصدقة .

(١٧٠) رواه السلسى في آداب الصحبة . وأبو منصور الديلمى في مسند العروض ؟ من حديث انس . وفيه أحمد بن محمد بن غالب الباهلى كذاب .

(١٧١) قال العراق : لم أقف له على أصل .

(١٧٢) رواه الحاكم وابن جبان . عوره من حديث انس . وقال الحاكم : صحيح الاستاد .

وأن يشئ عليه بما يعرف من محاسنه ، وأن يشكره على صنيعه في وجهه ، وأن يذب<sup>(١٧٣)</sup> عنه في غيابه إذا تعرض لعرضه كما يذب عن نفسه ، وأن ينصحه باللطف والتعریض إذا احتاج إليه ، وأن يفوع عن زلته وهفوته ، ولا يعتب عليه ، وأن يدعوه في خلوته في حياته وبعد مماته ، وأن يحسن الوفاء مع أهله وأقاربه بعد موته ، وأن يؤثر التخفيف عنه ، فلا يكلفه شيئاً من حاجاته ، فيروح سره من مهماته<sup>(١٧٤)</sup> ، وأن يظهر الفرح بجميع ما يرثاه من مسارة ، والحزن على نياله من مكارهه ، وأن يضمّر في قلبه مثل ما يظهره ، فيكون صادقاً في وده سراً وعلانية ، وأن يبدأ بالسلام عند إقباله ، وأن يوسع له في المجلس ويخرج له من مكانه ، وأن يشيّعه عند قيامه ، وأن يصمت عند كلامه حتى يفرغ من كلامه ، ويترك المداخلة في كلامه . وعلى الجملة ، فيعامله بما يحب أن يعامل به ، فمن لا يحب لأخيه مثل ما يحب لنفسه فأخوه نفاق ، وهي عليه وبال في الدنيا والآخرة .

فهذا أدبك في حق العوام المجهولين ، وفي حق الأصدقاء المؤاخين .

## آداب العلاقة بالمعارف

وأما القسم الثالث ، وهم المعرف : فاحذر منهم ؛ فإنك لاترى الشر إلا من تعرفه ، أما الصديق فيعينك ، وأما المجهول فلا يتعرض لك ، وإنما الشر كلّه من المعارف الذين يظهرون الصداقة بأستهتم .

فأقلّ من المعارف ماقدرت ، فإذا بلّيت بهم في مدرسة أو مسجد أو حامع أو سوق أو بلد ، فيجب ألا تستصغر منهم أحداً ؛ فإنك لاتدرى لعله خير منك . ولا تنظر إليهم بعين التعظيم لهم في حال دنياهم فتهلك ؛ لأن الدنيا صغيرة عند الله تعالى ، صغير مافيها . ومهما عظم

(١٧٣) يذب عنه : أي يدفع عنه .

(١٧٤) أي يرجح باله ومحاطه من أعماله .

أهل الدنيا في قلبك فقد سقطت من عين الله تعالى ، وإياك أن تبذل لهم دينك لتنال به من دنياهم ؛ فلا يفعل ذلك أحد إلا صغر في أعينهم ثم حرم ماعندهم .

وإن عادوك فلا تقابلهم بالعداوة ؛ فإنك لاتطيق الصبر على مكافأتهم ، فيذهب دينك في عداوتهم ، ويطول عناؤك معهم ، ولا تسكن إليهم في حال إكرامهم إياك وثنائهم عليك في وجهك وإظهارهم المودة لك ؛ فإنك إن طلبت حقيقة ذلك لم تجد في المائة واحداً ، ولا تطمع أن يكونوا لك في السر والعلن واحد ، ولا تتعجب إن ثبوك في غيتك ولا تغضب منه ؛ فإنك إن أنتصف وجدت من نفسك مثل ذلك ، حتى في أصدقائك وأقاربك ، بل في أستاذك ووالديك ؛ فإنك تذكرهم في الغيبة بما لا تشافههم به ، فاقطع طمعك عن مالهم وجاههم ومعونتهم ؛ فإن الطامع في الأكثر خائب في المال ، وهو ذليل لامحالة في الحال .

وإذا سألت واحدا حاجة فقضهاها ، فاشكر الله تعالى واشكره ، وإن قصر فلا تعاته ولا تشکه فتصير عدوا له ، وكن كالمؤمن يطلب المعاذير ، ولا تكن كالمنافق يطلب العيوب ، وقل لعله قصر لعذر له لم أطلع عليه .

ولاتعطن أحدا منهم مالم تتوسم فيه أول مخايل القبول ، وإن لم يستمع منك وصار خصما عليك ، فإذا أحظوا في مسألة ، وكانوا يأنفون من التعلم منك ، فلا تعلمهم ؛ فإنهم يستفيدون منك علما ويصبحون لك أعداء ، إلا إذا تعلق ذلك بمعصيته يقاربونها عن جهل منهم ، فاذكر الحق بلفظ من غير عنف .

وإذا رأيت منهم كرامة وخيرا، فاشكر الله الذي حببك إليهم . وإذا رأيت منهم شرا، فكلهم إلى الله تعالى ، واستعد بالله من شرهم، ولاتعاتبهم، ولانقل لهم : لِمَ لَمْ تُعْرِفُوا حَقَّيْ ؟ وأنا فلان بن فلان، وأنا الفاضل في العلوم ؟ فإن ذلك من كلام الحمقى ، وأشد الناس حماقة من يزكي نفسه ويثنى عليها .

واعلم أن الله تعالى لايسلطهم عليك إلا بذنب سبق منك ، فاستغفر الله من ذنبيك ، واعلم أن ذلك عقوبة من الله تعالى .

وكن فيما بينهم سمعا لحفهم ، أصم عن باطلهم ، نطوقا بمحاسنهم : صموتا عن مساوبيهم ، واحذر مخالطة متفقهة الزمان ، لاسيما المشتغلين بالخلاف والجدال .

واحذر منهم ؛ فإنهم يتربصون بك - لحسدهم - ريب المنون ، ويقطعون عليك بالظنون ، ويتغامرون وراءك بالعيون ، ويبحضون عليك عشراتك في عشرتهم ، حتى يجهبوك بها في حال غيظهم ومناظرهم ، لا يقيلون لك عثرة ، ولا يغفرون لك زلة ، ولا يسترون لك عورة ، يحاسبونك على النمير والقطمير<sup>(١٧٥)</sup> ، ويحسدونك على القليل والكثير ، ويحرضون عليك إخوان التيمة والبلاغات والبهتان ، إن رضوا ظاهرونهم الملقب ، وإن سخطوا فباطنهم الحقن ، ظاهرونهم ثياب وباطنهم ذئاب .

هذا ما قطعت به المشاهدة على أكثرهم ، إلا من عصمه الله تعالى ؛ فصحبهم خسران ، ومعاشرتهم خذلان .

هذا حكم من يظهر لك الصدقة ، فكيف من يجاهرك بالعدوة ؟

(١٧٥) التمير : النكتة التي في ظهر النواة ، والقطمير : القشرة الرقيقة التي بين النواة والقرة . وهذا كتابة عن أدنى الأشياء وأنفعها .

قال القاضى ابن معروف رحمه الله تعالى :

فاحذر عدوك مرة  
واحذر صديقك ألف مرة  
فلربما انقلب الصديق  
فكان اعرف بالضرة ،  
وكذلك قال أبو تمام :  
عدوك من صديقك مستفاد  
فلا تستكثرن من الصحاب  
فإن الداء أكثر ماتراه  
يكون من الطعام أو الشراب  
وكن كما قال هلال بن العلاء الرق :

لما عفوت ولم أحقد على أحد  
أرحت نفسي من هم العداوات  
إني أحبي عدوى عند رؤيته  
لأدفع الشر عنى بالتحيات  
وأظهر البشر للإنسان أبغضه  
كأنه قد ملا قلبي مرات  
ولست أسلم من لست أعرفه  
فكيف أسلم من أهل المودات  
الناس داء دواء الناس تركهم  
وفي الجفاء لهم قطع الأخوات

فسلم الناس تسلم من غوائلهم<sup>(١٧٦)</sup>

وكن حريصا على كسب التقييات<sup>(١٧٧)</sup>

وخلق الناس واصبر ما بليت بهم

اصم<sup>(١٧٨)</sup> ابكم<sup>(١٧٩)</sup> اعمى ذا تقييات

وكن أيضا كما قال بعض الحكماء : الق صديقك وعلوك بوجه الرضا ،  
من غير مذلة لهما ولا هيبة منها ، وتوفر من غير كبر ، وتواضع من غير  
مذلة ، وكن في جميع أمورك في أوسطها ، فكلا طرف قصد الأمور ذميم ، كما  
قيل :

عليك بأوساط الأمور فإنها  
طريق إلى نهج الصراط قويم  
ولاتك فيها مفرطاً أو مفرطاً  
إإن كلا حال الأمور ذميم

ولاتنظر في عطفيك<sup>(١٨٠)</sup> ، ولاتكثر إلى ورائك الالتفات ، ولاتقف على  
الجماعات ، وإذا جلست فلا تستوف<sup>(١٨١)</sup> ، وتحفظ من تشبيك أصابعك ،  
والعبث بلحيتك وخاتمك ، وتخليل أسنانك ، وإدخال اصبعك في أنفك ،  
وكترة بصاقك ونخنك ، و<sup>أ</sup> الذباب عن وجهك ، وكثرة المطى  
والشاؤب في وجوه الناس في الصلاة وغيرها ، ول يكن مجلسك هادئا ،  
و الحديث منظوما مرتب ، واصغ إلى الكلام الحسن من حدثك من غير  
إظهار تعجب مفرط ، ولا تسأله إعادة ، واسكت عن المضاحك

(١٧٦) غوائل : مفردتها غاللة ، وهي المفسدة البالغة .

(١٧٧) تقييات : مفردتها تقبة ، وهي ما ينتهي به من الشر .

(١٧٨) أصم : أى لا يسمع .

(١٧٩) أبكم : أى لا يطير .

(١٨٠) عطفيك بكسر العين : أى حاسيك ببأ و ثمالا .

(١٨١) أى لا ترفع رحيلك غير مطمس ، أو لاتك مائما للقيام .

والحكايات، ولا تحدث عن إعجابك بولنك وشعرك وكلامك وتصنيفك  
 وسائل ما يخصك، ولا تصنع تصنع المرأة في التزيين، ولا تبذل تبذل العبد،  
 وتوق كثرة الكحل والإسراف في الدهن، ولا تلح في الحاجات، ولا تشجع  
 أحدا على الظلم، ولا تعلم أحدا من أهلك وولنك فضلا عن غيرهم مقدار  
 مالك ؟ فإنهم إن رأوه قليلا هنت عليهم، وإن رأوه كثيرا لم تبلغ قط  
 رضاهم، واجفهم من غير عنف، ولن لهم من غير ضعف، ولا تهازل  
 أمتك ولا عبتك، فيسقط وقارك من قلوبهم، وإذا خاصمت فتقر، وتحفظ  
 من جهلك وعجلتك، وتفكر في حجتك، ولا تكثر الاشارة بيتك،  
 ولا تكثر الالتفاف إلى من وراءك، ولا تجث على ركبتيك، وإذا هدا غضبك  
 فتكلم . وإذا قربك السلطان فكن منه على حد السنان<sup>(١٨٢)</sup>، وإياك  
 وصديق العافية ؛ فإنه أعدى الأعداء، ولا يجعل مالك أكرم من عرضك .  
 فهذا القدر يافتى يكفيك من بداية المدحية، فجرب بها نفسك ؟  
 فإنها ثلاثة أقسام : قسم آداب الطاعات، وقسم في ترك المعاصي،  
 وقسم في مخالطة الخلق، وهي جامعة لجمل معاملة العبد مع الخالق  
 والخلق .

فإن رأيتها مناسبة لنفسك ، ورأيت قلبك مائلا إليها راغبا في العمل  
 بها ، فاعلم أنك عبد نور الله تعالى بالإيمان قلبك ، وشرح به صدرك ،  
 وتحقق أن هذه البداية نهاية ، ووراءها أسرارا وأغوارا ومكاشفات ، وقد  
 أودعناها كتاب « أحياء علوم الدين » ؛ فاشتغل بتحصيله .

وإن رأيت نفسك تستقل العمل بهذه الوظائف ، وتنكر هذا الفن  
 من العلم ، وتقول لك نفسك : أني ينفعك هذا العلم في محافل  
 العلماء . ومتى يقدمك هذا على الأقران والنظراء ؟ ! وكيف يرفع  
 منصبك في مجالس الأمراء والوزراء ؟ وكيف يوصلك إلى الصلة

<sup>(١٨٢)</sup> أي كن منه على حذر .

والأرزاق وولايه الأوقاف والقضاء؟ فاعلم أن الشيطان قد أغواك وأنساك متقلبك ومثواك، فاطلب لك شيطاناً مثلك، ليعلمك ما تظن أنه ينفعك ويوصلك إلى بغيتك<sup>(١٨٣)</sup>. ثم أنه قط لا يصفو لك الملك في محلتك، فضلاً عن قريتك وبلدتك، ثم يفوتك الملك المقيم والنعيم الدائم في جوار رب العالمين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، والحمد لله أولاً وأخراً، وظاهراً وباطناً. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. وصلى الله على سيدنا محمد وآلته وصحبه، وسلم تسليماً كثيراً.

\* \* \*

---

(١٨٣) أى إلى مدقك وغايتك.

## فهرس الكتاب

١٦ — ٥	دراسة التحقيق
١٧	كتاب بداية الهدية
٢٢ — ١٩	مقدمة حجۃ الإسلام الغزالی
٦٩ — ٢٣	<b>القسم الأول في الطاعات</b>
٢٥	توطئة
٢٨	فصل : في آداب الاستيقاظ من النوم
٢٨	باب : آداب دخول الليل
٣٠	باب : آداب الرضوء
٣٤	آداب الغسل
٣٦	آداب التيمم
٣٧	آداب الخروج إلى المسجد
٣٨	آداب دخول المسجد
٤٥	آداب ما بعد طلوع الشمس إلى الزوال
٤٩	آداب الاستعداد لسائر الصلوات
٥٣	آداب النوم
٥٦	آداب الصلاة
٦١	آداب الإمامة والقدوة
٦٣	آداب الجمعة
٦٧	آداب الصيام
٩٢ — ٧١	<b>القسم الثاني : القول في إجتناب المعاصي</b>
٧٣	توطئة
٧٤	آداب العين
٧٤	آداب الأذن
٧٥	آداب اللسان
٨٠	آداب البطن

٨١	آداب الفرج
٨٢	آداب اليدين
٨٢	آداب الرجلين
٩٢ – ٨٥	معارض القلب
١٠٩ – ٩٣	<b>القسم الثالث – القول في آداب الصحة</b>
٩٥	آداب الصحبة مع الله تعالى
٩٦	آداب العامة
٩٦	آداب المتعنة
٩٧	آداب الولد مع الوالدين
٩٧	أصناف الناس في العلاقة بالمرء
٩٨	آداب العلاقة بالعوام الخجهولين
٩٨	آداب العلاقة بالإخوان والأصدقاء
٩٨	شروط الصحبة والاصداقه
٩٨	مراجعة حقوق الصحبة
١٠٣	آداب العلاقة بالمعارف

رقم الايداع : ٤٦٣ / ٨٥

سـ رـ وـ لـ فـ حـ جـ حـ الـ بـ دـ حـ زـ نـ حـ اـ مـ رـ لـ غـ زـ اـ لـ

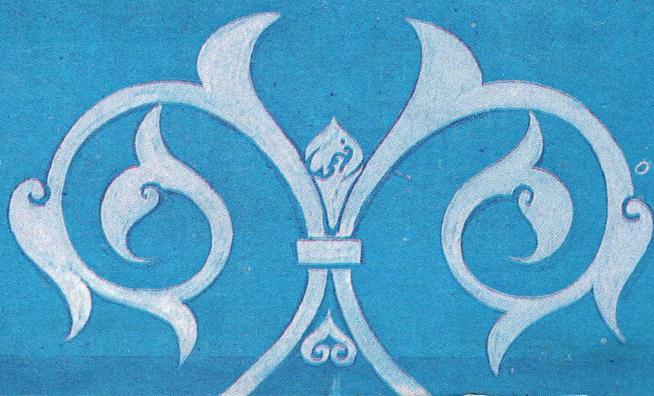
بـ دـ اـ يـةـ الـ هـ دـ اـ يـةـ

اـ دـ بـ لـ مـ سـ لـ حـ مـ فـ يـ اـ يـ مـ وـ لـ لـ لـ يـ لـ

لـ اـ بـ حـ كـ اـ مـ دـ الـ غـ زـ اـ لـ

دـ رـ اـ سـ تـ وـ تـ حـ قـ يـ قـ

مـ حـ دـ عـ سـ مـ اـ نـ اـ لـ طـ نـ يـ



# مكتبة الفرات

الطبع والنشر والتوزيع

٣ شارع القماش بالفرنساوي - بولاق

القاهرة - ت : ٧٦١٩٦٣